الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشـ
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة العربية
ادبية

الأبعاد الدلالية لاستحضار الشخصيات التراثية

عند عبد الوهاب البياتي

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها

❄إعداد:
✍ باكيني سمية
✍نعيمي عائشة
✍ قدة عفراء
✍قعيد ابتسام

❄ إشراف :
- الأستاذ صلاح ياسين

السنة الجامعية : 2016 م / 2017 م – 1437 هـ /1438 هـ

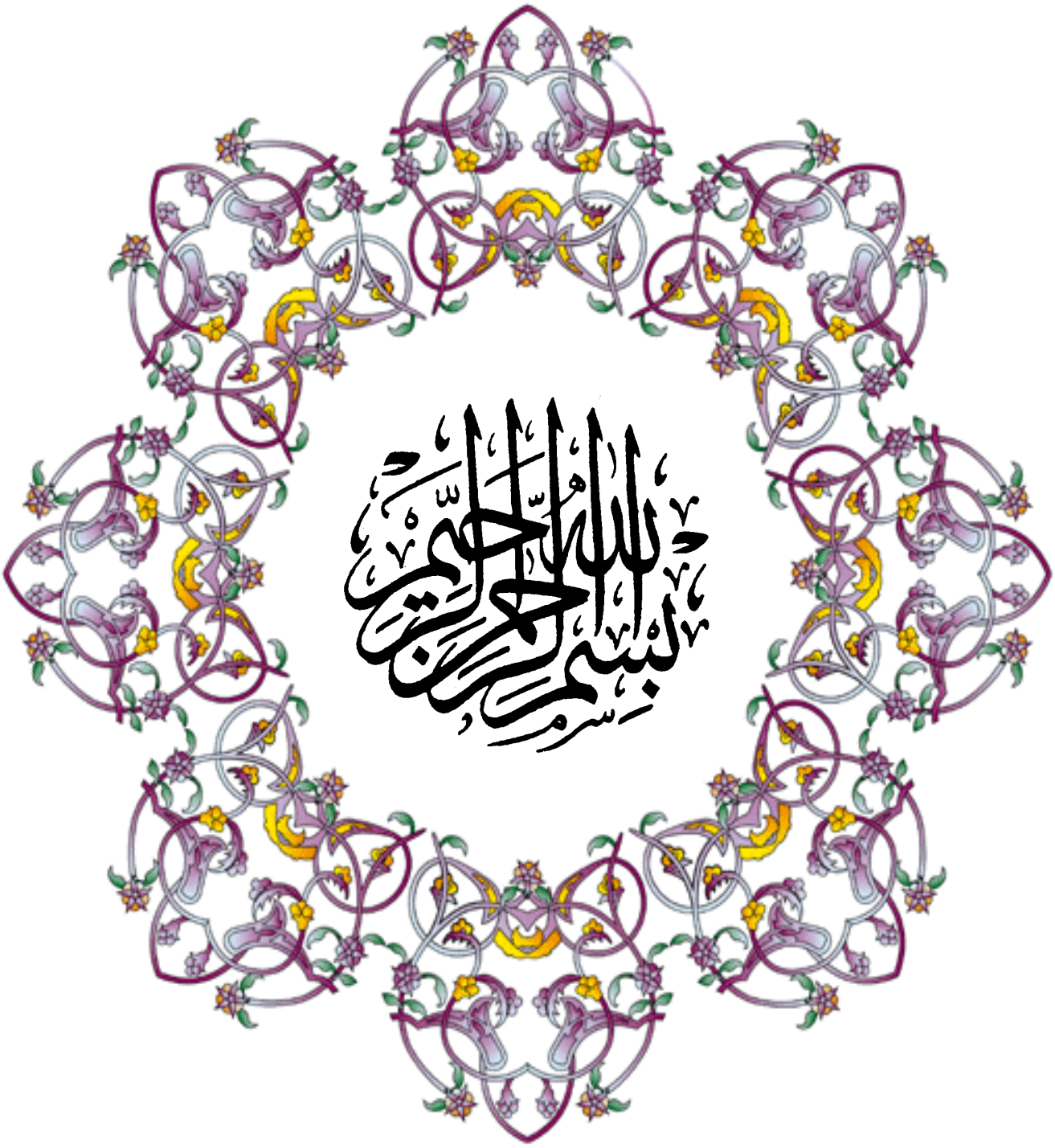
بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــــــــــــــــاء

اللّهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا...
ولا باليأس إذا أخفقنا...
وذكرنا أنّ الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح...
اللّهم إذا أعطيتنا فلا تأخذ من تواضعنا...
إذا أعطيتنا تواضعنا فلا تأخذ منا اعتزازنا ...

آمـــــــــــــــــــــــــــــــين...

الإهداء

-الحياة ابتسامة . . .ودمعة . . وذكرى

تذبل الابتسامة . . . وتجف الدمعة . . . وتبقى الذكرى ويدق ناقوس النسيان

نهدي ثمرة جهدنا إلى قرة أعيننا ومنبع عزمنا وإرادتنا "أمهاتنا الحبيبات"

إلى من أناروا دروب الحياة وأوهجوا في قلوبنا حب العلم "أبائنا الأعزاء"

إلى كل من مدى لنا يد المساعدة وكان سندا لنا لإتمام هذا العمل المتواضع من قريب أو من بعيد

إلى كل من علمنا حرفا وأفهمنا فكرا

إلى كل من ذكرتهم قلوبنا ولم يكتبهم قلمنا

إلى كل الزملاء والزميلات بمعهد الآداب واللغات دفعة 2017

وأخيرا هذه هي الحياة تتعلم منها دائما ما هو أفضل لنا في أخرتنا وما يسعنا في هذا إلا أن نقول :

علمتني الحياة أن حياتي إنما كانت امتحان طويل

علمتني الحياة أن أتلقى كل ألوانها رضا وقبولا

علمتني الحياة أنني مهما أتعلم فلا أزل جهولاً

-عائشة

- سمية

-إبتسام

-عفراء

شكر وعرفان

بسم الله الرحمان الرحيم

قال الله تعالى:

{فَاذْكُرُونِي أَذْكُركُمْ واشْكُرُوا لي وَلَا تَكْفُرُون}

قال صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" حديث صحيح .

الحمد الله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على هذا البحث، ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل .

ونتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الوافر إلى الأستاذ الفاضل: *صالح ياسين* على كرم قبوله الإشراف على مذكرتنا وعلى جهده الدؤوب في مساعدتنا على إتمامها وقطف ثمار البحث، نحي فيه النية الخالصة والتفاني الحر في عمله، أدامه الله زخرا للعلم والمعرفة .

كما نتقدم بعظيم الشكر إلى كل من درسنا . وإلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة حمه لخضر

الخـــــــــــطـــــة

مقدمة

مدخل

عبد الوهاب البياتي حياته وأدبه

الفصل الاول :الشخصيات الدينية والتاريخية

- الموروث الديني
- الموروث التاريخي

الفصل الثاني : الشخصيات الأدبية والأسطورية

- الموروث الأدبي
- الموروث الأسطوري

خاتمة

المصادر والمراجع

الفهرس

مقدمة

يعتبر التراث القديم للأمم والشعوب منبعا غزيرا ورافدا مدرارا للشعراء المعاصرين في التعبير تجاربهما الشعورية المختلفة، كما تعتبر الشخصيات التراثية من أهم عناصر ذلك التراث الذي اتجه إليه شعراء العرب في العصر الحديث، فسعوا

إلى استدعائها وتمثلها في تجاربهم الشعرية بعد أنْ أدركوا أهمية المعادل الموضوعي في تقديم الذات وإخراجها من قوقعة الفردية إلى رحاب الجماعية، ومن حدود الحاضر إلى امتزاج الماضي بالحاضر، ولعل عبد الوهاب البياتي من أوائل الشعراء الذين تمثلوا الماضي في رسم معالم الحاضر؛ حيث حفلت أغلب أعماله الشعرية بحضور الشخصيات التراثية بمختلف أبعادها الدينية والسياسية والتاريخية والأسطورية التي وجد فيها البياتي متنفسا للتعبير عن مختلف الضغوطات الشعورية التي يُعايشها؛ فما هي الأسباب الحقيقية لرجوع البياتي إلى التراث في تقديم تجاربه الشعورية وما هي الأبعاد الدلالية للشخصيات التي وظفها في أشعاره؟ ما مدى نجاح البياتي في مزج الحاضر بالماضي؟.

هذه التساؤلات وغيرها كانت كفيلة بأن تحرك فينا دافع البحث في هذا الموضوع الذي عنوناه بـ **"الأبعاد الدلالية لاستحضار الشخصيات التراثية عند عبد الوهاب البياتي".**

وما نصبو إليه من خلال هذا الموضوع هو دراسة مختلف الرموز والأقنعة التي توارى البياتي خلفها بغية تكثيف نصوصه بأقصى حَدٍّ من الدلالات الممكنة.

وكان لاختيارنا لهذا الموضوع العديد من الأسباب والدوافع منها:

1) رغبتنا في دراسة شعر البياتي الذي يعد من عمالقة شعراء العصر الحديث.
2) الوقوف على الأسباب الحقيقية لاستحضار التراث في الشعر المعاصر عموما وعند البياتي خصوصا.
3) فك دلالات ورموز الشخصيات التي تقنع البياتي وراءها.

وللإجابة على تساؤلات الموضوع سطرنا خطة مقسمة إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

ففي المدخل**(الرمز والقناع):** درسنا علاقة الشاعر المعاصر بالموروث، كما وقفنا فيه على مفهوم كل من الرمز والقناع.

أمّا الفصل الأول معنون بـ**(الشخصيات الدينية والتاريخية)**: فقد وقفنا فيه على الملامح المشتركة بين التجارب القديمة والتجارب الحديثة، إضافة إلى تفكيك أبرز ما حملته الشخصيات التراثية في نصوص البياتي من معانٍ ودلالات.

وفي الفصل الثالث(**الشخصيات الأدبية والأسطورية**) أبرزنا فيه حضور الشخصيات الأدبية مبرزين بواعث توظيف البياتي لها.

وفي الأخير اختتمنا البحث بخاتمة وضعنا فيها مجمل النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الذي استفدنا منه في التعرف على سير الشخصيات التراثية، كما اعتمدنا أيضا على المنهج الوصفي التحليلي في عرض الشخصيات ومعرفة أسباب توظيفها.

وقد استعنا في إنجاز هذا البحث بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر لعلي عشري زايد، ومدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر لنسيب نشّاوي، والشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية و المعنوية لعز الدين إسماعيل.

وعلى رغم من ذلك فقد اعترضت سبيلنا العديد من الصعوبات والمشاكل منها:

1) كثرة البحوث وتزاحمها طيـــــــــلة الموسم الدراسي.
2) صعوبة فهم نصوص البياتي بسبب الغموض الذي تتسم به أشعاره.
3) الضبابية والتشويش في فهم الشخصيات التي يتطلب تفسيرها الرجوع إلى التاريخ.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد حاولنا بذل أقصى جهودنا حتى يخرج البحث في أبهى حُلَّته.

وفي الأخير فإنّ الواجب والفضل يقتضي منا أنّ نُقِرَّ بفضل الأستاذ المشرف الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وملاحظاته القيمة، و وسعنا بكرمه وتواضعه وأحسسنا شغفه بأن يرى هذا البحث النور في أحسن الحلل وأقرب الآجال فله منا كل الشكر والعرفان والتقدير ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا في جميع محطات البحث والله ولي التوفيق.

يعتبر الرمز من أهم الوسائل التعبيرية في القصيدة المعاصرة فهو يعبر"عن وحدة الإدراك والتجربة، بل إنّه يؤدي دور المشجب الذي تعلق عليه المعاني والدلالات فضلا على أنّه يساعد على تكثيف التأثير العاطفي للتجربة"[1].

والرمز يحمل دلالتين، دلالة في معناه العام والمعنى الذي يكتسبه من السياق، والشاعر يعمل على التحام هاتين الدلالتين لأنّ "الرمز من حيث هو وسيلة لتحقيق أعلى القيم في الشعر هو أشد حساسية بالنسبة للسياق الذي يرد فيه من أي نوع من أنواع الصورة أو الكلمة، فالقوة في أي استخدام خاص للرمز لا تعتمد على الرمز نفسه بمقدار ما تعتمد على السياق"[2].

هذا ونجاح الرمز مرهون ومتعلق بنجاح الصورة الشعرية، لأنّ طبيعة التشكيل بينهما متداخلة، فكل منهما يكمل الآخر، وعلاقتهما كعلاقة الجزء بالكل "وليس الرمز إلّا وجها مقنعا من وجوه التعبير بالصورة"[3]. ويعاد إنتاجها فتغدو رمزًا يعبر به الشاعر عن رؤاه وتجربته الخاصة. كما أنّ اعتماد الصورة الشعرية على الرمز" لا يضيف إليها طاقة إيحائية جديدة فحسب وإنّما يضيف إليها أيضًا طاقة تعبيرية، تعمق سيرورتها الجمالية في استيعاب ظواهر اجتماعية ونفسية وروحية جديدة"[4]. وهذا ما نلمسه في شعر البياتي، حيث جاءت صورة الشعرية مبنية على الرمز سواء كان أسطوريًا أو صوفيًا أو تاريخيًا أو أدبيًا...

والجدير بالذكر أنّ البياتي كثيرًا ما يتعامل مع هذه الرموز كأقنعة فنية، والقناع كما عرفه البياتي نفسه" هو الاسم الذي يتحدث من خلاله الشاعر نفسه، متجردًا من ذاتيته"[5]

أمّا عن سبب اتخاذه القناع فيقول: لقد حاولت أن أوفق بين ما يموت وما لا يموت، بين المتناهي واللامتناهي، بين الحاضر وتجاوز الحاضر، وتطَلَبَ هذا مني

[1]- كامليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية في البنية الفنية والفكرية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1،2006م، ص:539.
[2]- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1981م،ص:200.
[3]- نفس المرجع، ص:195.
[4]- سعد الدين كليب، جمالية الرمز الفني في الشعر الحديث، مجلة الوحدة العدد83/82، 1991م، المجلس القومي للثقافة العربية.
[5]- عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، دار العودة، بيروت، لبنان، د- ط، 1971م، ص39.

معاناة طويلة في البحث عن الأقنعة الفنية"[1] هذه الأقنعة وجدنها في التاريخ والرمز والأسطورة.

ولكن البياتي في اختيار رموزه وأقنعته يبحث عن السمات الدالة في الشخصية أو الأسطورة.

[1]- عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، دار العودة، بيروت، لبنان، د- ط، 1971م ، ص:38.

1- مولده ونشأته :

هو شاعر عراقي معاصر ولد في بغداد سنة 1926. وتعرف على العالم من خلال الحي الذي عاش فيه بالقرب من مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني، درس في جامعتها "دار المعلمين العالية" (1944-1950م)، حيث تعرف على بدر شاكر السّياب والتقى بهما شاعر لا يقل عنهما حماسة هو سليمان العيسى فكان هؤلاء الثلاثة من الرواد المجددين في الشعر العربي المعاصر ، ومن أوائل الملتزمين بقضايا الإنسان العربي ، وانتسب البياتي إلى الحزب الشيوعي أثناء مرحلة الدراسة .

تخرج بشهادة اللغة العربية وآدابها سنة 1950م، واشتغل مدرسًا بداية من عام 1950م إلى غاية 1953م، ومارس الصحافة سنة 1954م مع مجلة الثقافة الجديدة لكنها أغلقت، وفصل عن وظيفته وأُعتقل بسبب مواقفه الوطنية فسافر إلى سوريا ثم بيروت ثم القاهرة، وزار الاتحاد السوفياتي 1958، التقى بناظم حكمت فتأثر به وتوثقت صداقتهما. عاد إلى وطنه بعد الثورة "14جويلية 1958" وعُيِّنَ مستشارًا ثقافيا لبلاده في سفارتها بموسكو عام 1959م فأقام في الاتحاد السوفياتي بين (1959-1964م) واشتغل أستاذًا في جامعة موسكو، ثم باحثاً علمياً في معهد شعوب آسية وزار معظم أقطار أوربا الشرقية والغربية[1]

وفي سنة1963أسقطت عنه الجنسية العراقية، ورجع إلى القاهرة سنة 1964م وأقام فيها إلى عام 1970م، وأعيدت إليه الجنسية العراقية 1968، ثم عاد إلى القاهرة محل إقامته الدائمة.[2]

توجه الشاعر إلى الأردن وأقام بعمان فترة من الزمن شارك فيها بعدد من الأمسيات والمؤتمرات ثم سافر إلى بغداد حيث أقام فيها ثلاثة أشهر وغادرها إلى دمشق وأقام فيها حتى وفاته سنة 1999م، مخلفاً وراءه آثارًا هائلة وقد نشرت أعماله الكاملة في مجلدين من إصدار دار الشرق القاهرة

2- مؤلفاته:

أ-الشعرية: نحاول في ما يلي تعداد الإنجازات والآثار التي خلفها "البياتي" :

- ديوان ملائكة وشياطين سنة 1950م.

[1] - نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، (الاتباعية- الرومانسية-الواقعية –الرمزية)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1984، ص:(533،534).

[2] - المرجع نفسه ص:533.

- ديوان أباريق مهمشة سنة 1955م.
- ديوان المجد للأطفال والزيتون سنة 1956م.
- ديوان رسالة إلى ناظم حكمت سنة 1956م.
- ديوان أشعار في المنفى سنـــــة 1957م.
- ديوان عشرون قصيدة من برلين سنة 1959م.
- ديوان كلمات لا تموت سنة 1960م.
- ديوان طريق الحرية بالروسية سنة 1962م.
- ديوان النار والكلمات سنة 1964م
- ديوان سفر الفقر والثورة سنة 1965م
- ديوان الذي يأتي ولا يأتي سنة 1966م.
- ديوان الموت في الحياة سنة 1968م.
- ديوان تجربتي الشعرية سنة 1968م.
- ديوان عيون الكلاب الميتة سنة 1969م.
- ديوان الكتابة على الطين سنة 1970م.
- يوميات سياسي محترف سنة 1970م[1].

وترجمت دواوينه إلى اللغات الروسية، والصينية ،واليوغسلافية والإسبانية.

ب- المسرحية: وله مسرحيات

"محاكمة في نيسابور" سنة 1963م. ترجم "بول إيلوار مغني الحب والحرية"لكود روا بالاشتراك مسح أحمد مسوسي 1957م.

"أرغوان شاعر المقاومة" لمالكولم كوكي و وبيترك رودس بالاشتراك مع أحمد مرسي1959م.

ويعتبر البياتي من الشعراء القلائل الذين كتبت عنهم دراسة كاملة بين الشعراء المحدثين، ورسائل جامعية عربية وغربية بدأها الدكتور إحسان عباس بكتابه ''عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي''1955 ثم كتاب''عبد الوهاب البياتي رائد الشعر الحديث1958''. ثم رسالة جامعية للسيدة نجاة عمودي بعنوان

[1] - نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، (الاتباعية- الرومانسية-الواقعية –الرمزية)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1984، ص:533

''البياتي من خلال ديوان أباريق مهمشة ''1958م. بجامعة دمشق. ويصعب بعد ذلك ذكر بقية الدراسات[1].

التجربة الشعرية عند عبد الوهاب البياتي:

تختلف رسالة الشعراء وتتمايز بتمايز أصحابها في أسباب فهمهم لعمق رسالة الشاعر وغاية الشعر، كما تتمايز بتمايز طبيعة التكوين النفسي والأخلاقي والفكري لكل شاعر وطبيعة وعي كل منهم لذاته وإدراكه لوجوده، وكنتيجة أولية لهذا التمايز و الاختلاف جاءت التجربة الشعرية على أنحاء متباينة تتلاقى وتتقاطع، مما يؤدي إلى غموضها في نفس صاحبها مما ينعكس على العمل الفني لذاته أو بما يكون العمل الفني تجسيدًا له[2].

ومن مآثر البياتي أنّ شعره مرّ بمراحل متعددة، لكنّه في كل مرحلة كان قادرًا على تقديم آثار متميزة تبلغ درجة رفيعة من الجودة والتجديد، إلاّ أنّ هذا لا ينفي وجود تفاوت بين قصائد المرحلة الواحدة، ثم أنّ الشعراء مثل الرياضيين يُذكَرون بالرقم القياسي الذي سجلوه،ولا يجوز الوقوف عن نواحي تقصيرهم لأنهم يشتركون فيها مع غيرهم، أمّا الذي يتوقف النقد عنده ويفتخر باكتشافه فهو الإضافات المبتكرة التي حققها الشاعر فأغنى تراث أمته و الإنسانية بما تفرد به من إبداع [3]

ففي أباريق مهمشة طرح أوضاعًا مجانية عبر شخصيات الجواب والأفاق والمغامر بَانِيًا القصيدة على أنّها لوحة تعتمد في تشكيلها الفني على التراكم، والحركة تنشأ مِنَ الصراع بين إيديولوجيتين تمثلهما قوتان أو شخصان أو وضعًان ففي قصيدة "سوق القرية" توحي كثرة الأمثال المتخاذلة بغلبة الجمود والتقليد على عوامل التغيير

والانبعاث:القصيدة موجودة،وفي طريقة وجودها معناها. وهذا كله كان جديدًا على الشعر العربي في عام 1954 عند صدور الديوان .

وفي المرحلة الثانية (1954-1964) يحارب البياتي بشعره عالماً جاحدًا،لكن طغاة هذا العالم يملكون القوة والقسوة ليخمدوا صوته وأنفاسه، فيغدو الشعر

---

[1] - المرجع السابق، ص: 534.

[2] - محمد عبد الواحد حجازي، ظاهرة الغوص في الشعر الحديث، دار الوفاء للطباعة والنشر،ط1، 2001م، ص:52.

[3] - عبد الوهاب البياتي، محي الدين صبحي، البحث عن ينابيع الشعر والرؤيا، (حوار ذاتي عبر الآخر)، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت،ط1 ،ابريل 1990، ص: 57.

سلاحا والشّاعر نموذجا للتضحية والمعاناة. ويغدو الاغتيال هاجسًا يوحي إليه بصورة الشاعر المشرد القتيل.

وقيمة شعر البياتي لا تقتصر على اكتشافه أو بنائه لنموذج بدئي عربي هاجع في اللاشعور الجمعي، وإنّما يتجلى الإبداع في أنّ الشاعر أخذ هذا النموذج وجعله عماد شعره في المراحل اللاحقة مما اكسب شعره اتساقاً في المنظور جعله يطل على رؤيا موحدة للحضارة العربية.

كما أنّ أدبه كان موضوعيا، والغريزة الفنية وحدها نَمَّتْ في الشاعر إحساسا بالموضوعية، والغريزة الفنية وحدها انتقت تقنية القناع وسيلة لتحقيق انتحاء الشاعر نحو الموضوعية في مرحلته الثالثة، سفر الفقر والثورة(1965)

وأما ديوانه الأخير مملكة السنبلة(1984) فيضم مزيجًا من تقنياته الأخيرة مع عودة إلى الواقع المعاصر بطابعه العالمي وانعكاس الشّقاء الكوني على الشعر والأمة.[1]

عبد الوهاب البياتي والتراث

تعتمد الرؤيا على استخراج ما تولد من صور نواح متكررة في الحياة كالميلاد والموت والزواج في اللاوعي الجمعي، فاللاوعي الجمعي يضم ذلك الإرث الجماعي من المعاني المختزنة في طبيعتنا المورثة.

اكتشف البياتي نموذجًا بدئيًا ثم أعاد تشكيله بما يعبر عن تجربته مع حضارته وعصره لسد النقص الذي رآه في وعي الأمة.

وفي سبيل مبدأه، عانى الشاعر البطالة والسجن والتشرد والنفي من بغداد إلى دمشق فبيروت فموسكو، فالقاهرة. من خلال هذه السنوات تبلورت في ذهنه صورة الشاعر نموذجا للتضحية والمعاناة وبما أنّه يحارب بشعره قوى ترهبه فقد صار الاغتيال هاجسًا أوحى إليه بنموذج الشاعر المشرد، المحاصر والقتيل في أرض خراب.

وجود النموذج الذي يربط الماضي بالحاضر، مكن الشاعر من ذكر معاناته ومعاناة الآخرين ضد طغيان العدوين الدّاخلي والخارجي.

إنّ النموذج البدئي منحدر إلينا من التراث، أي أنّه تراثي بطبيعته إذا تركه الشاعر على طبيعته أوحى بأشد أنواع الأدب سلفية وشعبية.

[1] - المرجع نفسه، ص(62،59،58).

وقد استخدم البياتي التقنيات الحديثة كتيار الشعور والتداعي والتكرار والحوار و الحوار الذاتي والتصوير الواقعي والأصوات المتعددة. وكان شعره المبكر مُنصبًا على الواقع العربي وحوادثه الراهنة وأحواله الشخصية.[1]

في مرحلة تكوين النموذج البدئي كان الشاعر يستخدم التقنيات لإبراز مغزى القصيدة ولكنّه تملك النموذج البدئي وجد نفسه في رحاب الأسطورة للتعبير عن حلم جماعة على اعتبار أنّ الحلم هو أسطورة الفرد والأسطورة هي حلم العراق.

لأنّ مهمتها توحيد الشعور بين أعضاء الجماعة. وإيجاد شعور بالتناغم مع الطبيعة والصراع مما يتيح للشاعر الرؤوي دوامة الصراع التاريخي بأن يجعل منه قناعًا.

إلى هذا الحد تنغرس رؤيا البياتي في التراث والى هذا الحد المماثل تنصهر أساليبه التعبيرية في الحداثة، وهذا برهان على أنّ الحداثة إمّا أن تكون بنت التراث أولا تكون مطلقًا. فالحداثة تعريفا هي: التعبير عن الوجدان الجمعي للأمة وفق أكثر الأشكال الأدبية تواصلاً مع التراث ومعاصرة للإبداع. والانقطاع عن التراث لا يحقق التواصل بين النص والمخزون الإبداعي الكامن في لاوعي الجمهور على صورة استجابة جمالية قابلة للتعديل بحسب مقاييس معاصرة[2].

[1] - عبد الوهاب البياتي، محي الدين صبحي، البحث عن ينابيع الشعر والرؤيا، (حوار ذاتي عبر الآخر)، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت،ط1 ،ابريل 1990،ص:(83،84،85).

[2] - عبد الوهاب البياتي، محي الدين صبحي، البحث عن ينابيع الشعر والرؤيا، (حوار ذاتي عبر الآخر)، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت،ط1 ،ابريل 1990،ص: (86،87).

الـفـــصـــــل الأول

الشخصيات الدينية والتاريخية

علاقة الشاعر المعاصر بالموروث :

إن توظيف الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر يعني استخدامها تعبيريا لحمل بُعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر،أي أنها تصبح وسيلة تعبير و إيحاء في يد الشاعر يعبر من خلالها –أو يعبر بها- عن رؤياه المعاصرة.

وتوظيف الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر هو آخر أطوار علاقة شاعرنا المعاصر بموروثه ،هذه العلاقة التي ابتدأت بالمحاولات الأولى لإحياء التراث في بداية عصر النهضة ،ومرت منذ ذلك الحين بعدة أطوار حتى انتهت إلى صيغتها الأخيرة توظيف الشخصية التراثية أو التعبير بها وهي صيغة تقابل صيغة التعبير عن الشخصية التراثية أو تسجيلها. وهذه الصيغة الأخيرة تعني سرد إحداث حياة الشخصية ونظمها نظما تقريريا ،وقد كانت هذه الصيغة هي التي حكمت علاقة شاعرنا بموروثه منذ عصر النهضة.

ويهدف هذا الجزء من البحث إلى تتبع علاقة شاعرنا بموروثه عبر رحلتنا الخصبة من صيغة التعبير عن الشخصية التراثية إلى صيغة التعبير بها أو توظيفها والى تحديد الفرق بين الصيغتين من خلال تتبعه لتطور هذه العلاقة.[1]

كما يهدف من ناحية أخرى إلى التعرف على طبيعة العوامل و الأسباب التي حدثت بشاعرنا المعاصر إلى توثيق صلته بموروثه ،و امتياحه من الموارد هذا الموروث الغنية ما يغني به تجربته ويخصبها.

[1]- علي عشري زايد ،استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ،دار الفكر العربي،القاهرة ،مصر،1997،ص:13.

أولا: الموروث الديني:

كان التراث الديني في كل الصور ولدى كل الأمم مصدرا سخيا من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصورا أدبية ،والأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني. ولقد كان الكتاب المقدس مصدرا للشعراء الأوروبيين الذين استمدوا منه الكثير من الشخصيات والنماذج الأدبية، وقد افتتن الرومانسيون بشكل خاص بهذه الشخصيات الدينية المتمردة المطرودة _كشخصية (الشيطان) وشخصية (قابيل)القاتل الأول_ كما رفعوا من هذه الشخصيات نماذج للتمرد على كل ما هو عادي وما هو مقرر ومفروض ،وعبروا عن تعاطفهم الكبير مع ما عانته هذه الشخصيات من عذاب ولعنة من جراء تمردها.

وإذا كان الكتاب المقدس هو المصدر الأساسي الذي استمد منه الأدباء الأوروبيون شخصياتهم ونماذجهم الدينية ،فان عددا كبيرا منهم قد تأثر ببعض المصادر الدينية الإسلامية وفي مقدمتها القران الكريم ،واستمدوا من هذه المصادر الإسلامية الكثير من الموضوعات والشخصيات التي كانت محور الأعمال أدبية عظيمة.[1]فالموروث الديني أصبح مصدرا أساسيا عكف عليه شعراؤنا المعاصرون واستمدوا منه شخصيا تتحمل تكثيفا دلاليا وعبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة:
ويمكن أن نصنف الشخصيات التي وظفها شعراؤنا المعاصرون من الموروث الديني في ثلاث مجموعات رئيسية: 1- شخصيات الأنبياء.
2- شخصيات مقدسة.
3- شخصيات صوفية.

1. شخصيات الأنبياء:

أ. شخصية يونس عليه السلام:

ذكر الشاعر نبي الله يونس _عليه السلام_ الذي يعتبر من الأنبياء الذين تعرضوا لأشد الابتلاءات حيث انه وبعد إعراض قومه عن دعوته وتكذيبهم له ،انذرهم بحلول العذاب مغاضبا عنهم أي غضبان دون أن يأذن له الله بذلك ،وبينما هو راكب في السفينة حتى اشتد الموج،ورأى الراكبون أنهم يجب أن يخففوا من عدد الركاب السفينة فاجروا قرعة ،فوقفت عليه ثلاث مرات ولما ارتمى في البحر التقمه حوت عظيم وعندها دعا سيدنا يونس الله فأنجاه من تلك الظلمات وقذفه الحوت إلى شاطئ الأمان.

وقد استحضر البياتي قصة سيدنا يونس عليه السلام في قصيدة روميات أبي فراس في المقطع الخامس:

يونس لن يُشَقَّبطنَ الحوت. فالبحرُ جفَّ منذ أن أبحَرَت بي.
وقلتَ لِي لا تَبْكِ. على رِمال الشَّط مَا اقُول.

فالأدباء يستعملون قصة سيدنا يونس عليه السلام للدلالة على الفرج بعد الشدة ولكن البياتي وظف هذه القصة الدينية لعدم النجاة من الكُرب اتى السياق الذي ورد في أبياته يوحي بذلك حيث ورد في السطر الأول يونس عليه السلام لن يشق بطن الحوت وهذه أولى دلالات عدم النجاة ،لان سيدنا يونس خرج من بطن الحوت ،كما أن البحر وهو إحدى الظلمات الثلاث قد جفّ.
إن الشاعر بتغييبه العلامات الكرب الذي يسبق النجاة وهي الحوت والبحر والشاطئ يكون قد نفى أسباب النجاة من واقع مؤلم مرير على جميع الأصعدة ومختلف الميادين ولكن بطريقة مثيرة فنفي الشدة يعني ضمنيا نفي الفرج.

[1]- علي عشري زايد ،استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1997،ص:75.

ب.شخصية سليمان عليه السلام:

وظّف البياتي بعض القصص والرموز الاسلامية في شعره فالتأثير القرآني محسوس في قصيدة **حجر** من ديوان **الذي ياتي ولا ياتي**، فيذكر قصة سليمان النبي عليه السلام ومدينة ارم ذات العماد قائلا:

غرقت عبر الليالي (ارم ذات العماد)
عصا سُليمان علَى بلاطة الزَّمان
فهو عليها مُتكئ يقظان
ينخر السوس فيهوي مَيتا رَميمَا[1]

في هذه الأبيات تتجلى رؤية البياتي للواقع المحطم عبر توظيفه لرموز طالما ارتبط اسمها بالقوة والجبروت في المخزون الديني للأمة، مثل إمبراطورية عاد التي لم يُخلق مثلها في البلاد ، ومثل النبي سليمان عليه السلام الذي جعله الله ملكا نبيا وآتاه من كل شيء "أي كل ما يحتاج إليه الملك من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم و الفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات"[2]، لكن البياتي لم يستثمر الدلالات الإيجابية في كل من عاد وسليمان بل حورها للدلالة السلبية التي توحي بانعدام مصادر القوة التي يمكن يتمسك بها المستضعفون في أصقاع الأرض؛ فصوّر إرم ذات العماد بأنها غارقة بعدما ازدهرت فترة من الزمن، كما أن صور دودة الأرض وهي تنخر عصا سيدنا سليمان عليه السلام ليخر ميتا في اقتباس واضح من القرآن الكريم، وفي كلا الدلالتين يتجلى شعور الشاعر بالخيبة واليأس من انتظار الفرج، كما يبرز في نفسية البياتي نوع من انهيار القيم وشك نيتشوي مطبق يبرز في عدم إيمان الشاعر بعقيدة الخلاص من الأوحال التي تعانيها الأمة.

ت.شخصية المسيح عليه السلام:

تجلت شخصية المسيح عليه السلام بثلاثة ملامح استمدها الشعراء المعاصرون في أشعارهم وهي:

الصلب والفداء والحياة من خلال الموت ولكن البياتي استخدم المسيح عليه السلام المصلوب رمزا للتعبير عن العذاب والآلام التي يواجهها الإنسان المعاصر.

فيرمز في قصيدة **قصائد اليافا** من ديوان **المجد للأطفال والزيتون** بالياسوع المصلوب إلى اللاجئ الفلسطيني أو الإنسان المكبل بقيود الاستعمار:

يَافَا يسُوعك في القيود.
عارٍ تمزقُه الخناجِر عبر صلبان الحُدود.
وعلَى قِبابك خيمة تبكي.
وخُفاش يطير.

[1]- عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الشعرية الكاملة ،ج2 ،ص:81 ،82

[2]- ابن كثير، قصص الأنبياء، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص: 380.

يا وردة حمراء ،يا مَطَر الرَّبيع.[1]

ويوظف في قصيدة **العودة** من نفس الديوان رمز المسيح بنفس المضمون.

وفي قصيدة **نقد الشعر** يظهر الشاعر بقناع المسيح على الصلب ويرى نفسه مصلوبا ابدا في سبيل شعره:

لكنَّنِي مَغلوب.

فوق صَليب كَلِماتي ،أبداً مَصلوب.[2] وأيضا شبه بعض الثوار في عصره بالمسيح فمثلا في قصيدة **الى ذكرى ديمترف** من ديوان **عشرون قصيدة من برلين** يقول:

مسيح وكَان بلاَ صَليب

كان بلاَ إكْليل شوْك

كان في صِراعه لرهيب[3]

وأيضا في قصيدة **المسيح الذي أعيد صلبه** من ديوان **كلمات لا تموت،** التي أهدها إلى البطلة الشهيدة الجزائرية جميلة بوحيرد:

إنَّ حرْفا

مَاردا

يُولد في الجزائر

يُولد في اللّيلة

لم تَظْفر به ريشة شاعر.[4]

وفي قصيدة **روميات أبي فراس** من ديوان **الموت في الحياة** كان المسيح والصليب رمز اللمعاناة الروحية التي يواجهها الإنسان الثائر في عصره.[5]

عانَيْت موتَ الرُّوح.

في هذِه الأَرض التي يهدر جبالها.

رعد عقيم وتَجوع الرِّيح.

ويُصلب المسيح

2. **شخصيات مقدسة:**

أ. **مريم عليها السلام:**

استغل البياتي شخصية مريم عليها السلام في حادثة هزها للنخلة وتساقط الرطب عليها أثناء ولادتها المعجزة للمسيح عيسى عليه السلام؛ وقد ذكر الله هذه القصة في سورة تحمل اسم مريم وهي المرأة الوحيدة التي ذُكرت في القرآن الكريم؛ قال تعالى:**"فَنَادَاها**

[1]- عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الشعرية ج1 ،ص:193.

[2]- المرجع نفسه ،ج2 ،ص:126.

[3]-عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية، ج1، ص: 32.

[4]-المرجع نفسه ،ج1 ،ص360.361

[5]-علي عشري زايد ،استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ،دار العربي ،القاهرة ،1997،ص:83.

أَلَّا تَحزَنِي قَدْ جَعَل رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيَا * وَهُزِّي إِليكِ بِجِذْعِ النَّخْلة تَسَّاقِط عَلَيك رَطِبًا جَنِيَا*[1]

وقد وظف عبد الوهاب البياتي شخصية مريم عليها السلام في قصيدة **الموت في الحب** كرمز للقوى الإنسانية البكر،القادرة على تغيير هذا العالم الموبوء إلى عالم أخر أكثر وضاءة وإشراقا ،يقول موجها حديثه إلى تلك القوى:

أيَّتها العذراء.
هُزّي بجذع النّخلة الفرعاء.
تسّاقط الاشياء.
تنفجر السُموش والاقمار.
يكتسح الطُوفان هذا العار.[2]

ب.شخصية الإمام علي رضي الله عنه:

أشار البياتي إلى شخصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قصيدة **سفر الفقر والثورة** من ديوان **سفر الفقر والثورة**، غير أنه لم يستدع هذه الشخصية في حد ذاتها وإنما كان من خلال التناص مع مقولة من مقولاته –رضي الله عنه- وهي:**"لو كان الفقر رجلا لقتلته"**، ولا يخفى على أحد ما لهذه الفكرة من نقمة على الحرمان والجوع والظلم ومناصرة الفقراء والكادحين وغيرها الأفكار التي باتت تؤرق الشاعر وتهز وجدانه:

لَو أنَّ الفَقر إنسان
أذن قتلته وشَربت من دمه
لو أن الفقْر إنسان[3]

في كثير من قصائده تكلم عن المبشر الذي ينتظره ولكن تعامل معها حسب رؤيته للحياة ففي قصيدة **شيء من ألف ليلة** من ديوان **الموت في الحياة** يقول:

كانت السَّماء قارة
تنتظر البِشارة
أَلفا من السِّنين أو تَزيد
تحت رُكام الوَرق الميّت والجليد
انتظر (الغائب) من دمشق
يأْتي على جَواده تحت حَرب البَرق
مكتسحاً ركَام هذا القَبر
ومشعلاً نِيرانه في الفقر[4]

---

*-سورة مريم ،الآيتان24 ،25.
[2]-الموت في الحياة ص: 138 ج2
[3]-عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الشعرية ،ج2 ،ص:43.
[4]-عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الشعرية ،ج2 ،ص:167

ت.**شخصية الحسين ابن علي رضي الله عنه:**

وظف البياتي الحسين بن علي رضي الله عنه الثائر والإمام رمزا للاستشهاد والتضحية فذكره رمزا للمقاومة والاستشهاد قبلة المضطهدين دون أن يسرد قصته مباشرة ،ففي قصيدة **مذكرات رجل مجهول** من ديوان **أباريق مهشّمة** تلبس الشاعر شخصية عامل بسيط يدعى سعيد ،مات أبواه في طريقهما إلى زيارة عبر الحسين :

أنَا عَامل ،أُدعَى سَعيد من الجنُوب
أبَواي مَاتَا في طَريقِهما إلى قبْر الحُسين..[1]

وفي قصيدة **صورة تقريبية لبرجوازي صغير يقرض الشعر** من ديوان **يوميات سياسي محترف** يذُم الشاعر أعداء الحرية والثورة والمرتزقة المنافقين وهم يبكون عليه بعدما قتلوه:

رأَيته يَبكي على الحُسين.
ويَطْعن الحُسين
في كربلاء طَعنة الجَبان في العينين
يقبِل اليَد نصفه لِقاء ليرتين[2]

وفي قصيدة **كتابة على قبر السياب** من ديوان **الكتابة على الطين** يرثي الشاعر بلده ويندب ويبكي للحسين :

اصعد أسوارك بغداد ،وأهوى ميتا في الليل
امدّ للبيوت عَيني ..
أبكِي علَى (الحُسين)
وسَوف أبكيه إلى يجمع الله الشتيتين وأن يَسْقُط سُور البين [3]

تواصلت مأساة الحسين في قصيدة **الموت في غرناطة** من ديوان **الموت في الحياة** يقول:

من قبل ألْف سنة يَرتفِع البُكاء
حُزنا على شهيد كربْلاء
ولمْ يزل على الفُرات دَمه المراق
يصبَغ وَجه الماء والتّخيل في المساء
آه جَناحيَّ كَسرته الرِّيح
من قاع نَهر الموْت يا مَليكتي ،أَصيح
من ظُلمة الضَّريح[4]

[1]-المرجع نفسه،ج1 ،ص:186
[2]-المرجع نفسه ،ج1 ،ص:295
[3]-المرجع نفسه ،ج2 ،ص:219
[4]-عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الشعرية الكاملة ،ج2 ،ص:135

وفي قصيدة **رسائل إلى الإمام الشافعي** من ديوان **قصائد حب على البوابات السبع** يتذكر الشاعر طفولته التي ارتبطت بفقراء الأرض ومعجزات الفجر ورموز الشهادة والقوة:

قبَّلت شباك (الحُسين) وغسَلتُ الحجَر الأسْود بالدُّموع
نَضوت في مواكِب العَزاء
طُفولتي مستَنجداً بقوة الأشياء
بفقراء الأَرض ومُعجزات الفجْر[1]

3. شخصيات صوفية:

إن تأثر الشاعر بالصوفية كان نتيجة أنه قد تأصل هذا التأثير فيه منذ نشأته أي هو قد ترعرع بالقرب من مقام الشيخ **عبد القادر الكيلاني** ببغداد ونشأ في أسرة متدينة وكان جده له تأثير كبير في صوفيته.[2]

أ. جلال الدين الرومي:

وهو محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي البكري (بالفارسي: جلال الدين محمد بلخي) (604 هـ - 672 هـ = 1207 - 1273 م)عرف أيضا باسم مولانا جَلَال الدِّين الرُّومي: شاعر،عالم بفقه الحنفية والخلاف و أنواع العلوم،ثم متصوف (ترك الدنيا و التصنيف) كما يقول مؤرخو العرب. وهو عند غيرهم صاحب المثنوي المشهور بالفارسية،وصاحب الطريقة المولوية المنسوبة إلى (مولانا) جلال الدين.

ولد في بلخفي أفغانستان وانتقل مع أبيه إلى بغداد تأثر البياتي بآراء المتصوفة بشأن الحرية الحقيقية ونبذ القيود وترك التكلف. و أول البارقات الصوفية في شعره جاءت في قصيدة رثى فيها **ناظم حكمت** من ديوان **النار والكلمات** ففي المقطع الخامس عن طريق التناص تحت عنوان **جلال الدين الرومي** يتحدث بمولانا الرومي قائلا[3]:

أصغ إلى النَّاي يَئِن رَاوِياً
قَالَ جَلاَل الدِّين الرُومِي.
النَار في النَاي.
وفِي لَواجِع المحُب والحزَنِ
النَّاي يَحكِي عن طَريقٍ طَافِحِ بالدم[4]

إن البياتي هنا يرمز إلى الروح المحترفة على طريق الكفاح ويحكي عن طريق مكتظة بالدم فالناي رمز للثورة.

---

[1]-المرجع نفسه،ج2 ،ص:242 ،243

[2]-صلاح الدين عبدي ،استدعاء التراث في مرآة أشعار عبد الوهاب البياتي ،مجلة فصلية النقد والأدب المقارن، العدد2 ،العراق ايران كرمنشاه ،ص:14

[3]-ينظر ،علي عشري زايد ،استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ،دار العربي ،94شارع عباس العقاد ،مدينة النصر ،القاهرة ،1997.

[4]-عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الشعرية ،ج1،ص:469

ب.**الحسين بن منصور الحلاج:**

الصوفي الثاني الذي يجب إن نقف عنده وله صدّى واسع في تجارب الشعراء المعاصرين وخاصة عبد الوهاب البياتي هو الحسين بن منصور الحلاج ،تأثرت إعمال الشعراء بالنسبة له في مجملها بكتابات المستشرقين ولا سيما لوي ما سيفون ،المستشرق الفرنسي الكبير و بتأويلاتهم لجوانب شخصيته. وبذل المستشرقون جهدهم لتسليط الضوء على الجانبين من الجوانب الشخصية للحلاج ،الأول هو محاولة إثبات نوع من التأثير المسيحي على حياة الحلاج وعقيدته خاصة فيما يتعلق بصومه وفكرة الإبدال قداسيته والجانب الثاني إبراز أن وراء هو موقفه من الحكومة والسلطة وليست عقيدته المتطرفة.

البياتي هو من أكبر الشعراء لإبراز هذين الجانبين ويجعل عنوان قصيدته **عذاب الحلاج** التي يكاد يكون تجربته حرفية عن العنوان الذي انتخبه ماسينيون من وراء هذا العنوان توحد تجربة محنة المسيح عليه السلام والحلاج. أما البياتي في قصيدة من ديوان **سفر الفقر و الثورة** التي جاءت في شبه مقاطع معنونة (**المريد – رحلة حول الكلمات –فسيفساء –المحاكمة – الصلب – رماد الريح)**فقد تنقل للقارئ السياق العام لقضية الحلاج ونهايته المأساوية فقد عاش البياتي في القصيدة –**رحلة حول الكلمات**-أجواء التصوف واندمج فيها بكل كيانه لذلك طغى قاموس المتصوفة على أسلوبه مثلا:

يَا مُسْكِر بِيِحُبه، مُحيِّري في قربه[1]

كما قال احد نقاده يستطيع القارئ إن يفهم القصيدة دون أن يعرف شيئا عن الحلاج.

وكل الدلالات تُضفى على المسيح عليه السلام في الشعر المعاصر ،يسقطه البياتي على الحلاج من العشاء الأخير والبعث من خلال الموت والميلاد الجديد.

أما الثاني ،تُحدثنا عنه هو الجانب السياسي فهو اشد وضوحا في المقطع الرابع فيتكلم على لسان الحلاج الثائر المتمرد الذي وقف بوجه السلطان ودافع عن عقيدته (انا-انت) فيتقمص البياتي الحلاج الذي حُكم عليه بالموت باسم الفقراء ،واتخذه البياتي قناعا هكذا:

بُحْتُ بِكلِمَتين لِلسُلطان
قُلتُ لَه:جَبَان
قُلتُلِ كلب الصَّيد كَلِمتين
ونِمتُ لَيلَتَين
حَلِمتُ فيهُما بأَنِي لمْاعد لَفظتين
تَوَحدت
تعَانقت

[1]-عبد الوهاب البياتي ،الاعمال الشعرية الكاملة ،ج2 ،ص:11

وبَاركَت – أَنت ِلي

...

ولمأَجد إلاَّ شُهود الزُّور والسُلطان

حَولي يحومُون وحولي يَرقصون :إِنَّها وَليمة الشَّيطان[1]

ت.**محي الدين ابن العربي:**

أما الشخصية الصوفية الأخرى فهو محي الدين عربي من أشهر الشخصيات التصوف الإسلامي ،ومع انه أندلسي فقد اكتر من الطواف في العالم الإسلامي منذ ان بلغ الثلاثين من عمره ،وبعد عشرين سنة في التنقل والارتحال استقر في دمشق وتوفي بها.[2]

ففي قصيدة **عين الشمس أو تحولات محي الدين بن عربي في ترجمان الأشواق** في ديوان **قصائد حب في بوابات العالم السبع** أو كما قيل تحولات البياتي نفسه فهي قصيدة القناع خلق فيها البياتي قناعا تاما تقمص شخصية المتصوف ليوصل من خلاله أفكاره للمتلقي.

وكما يقول أحد نقاده ،القصيدة لا تدل على استعادة التاريخ و انما خلق اسطوري لشخصية ابن العربي وتلبُس قناعه.

ودلالاتها – القصيدة – مستمدة من اقتباس الشاعر من لغة ديوان **ترجمان الأشواق** الذي كتبه في التغزل بالنظام وهي فتاة رومية جميلة. وتصرف البياتي ودمج القصيدة لتنسجم مع تجربته المعاصرة التي تعدّ من ابرز أسلوب القناع الذي يقدم تجربة معاصرة لتلك التجربة التراثية.

جاءت القصيدة في ثمانية مقاطع ،فالبياتي تقمص شخصية ابن العربي بعدما بعث من الموت ويلعب دوره كما يشاء فمرة يتكلم على مستوى القناع ومرة على مستوى الوجه الظاهر الصريح ،البياتي يستفيد من معجم ابن العربي وجاءت القصيدة مشبعة بمفردات معجم المتصوفة وادبيّاتهم.

مثلا قال ابن العربي: فكل اسم اذكره في هذا الجزء أكني وكل دار اندبها فدارها أعني ،والبياتي يقول:

فَكُلُّ اسْم شَارِدٍ أو وَارِد أَذكُره ،عَنهَا أَكْني واِسْمُها أَعنِي

وكُلُّ دَار فِي الضُّحَى أَنْدِبُها ،فَدَارُها أَعنِي[3].

يتخذ البياتي من هذه الإحالات النصية التي تقودنا الى مسالة مهمة في الشعر العربي الحديث وهي ظاهرة التناص وهي بمفهومها الواسع تعالق بين النصوص على نحو ما أو حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص أو لأجزاء من نصوص سابقة عليها أو بعبارة واضحة حوار النصوص بعضها مع البعض.

---

[1]-عبد الوهاب البياتي ،الاعمال الشعرية الكاملة ،المحاكمة ،ج2 ،ص:15

[2]-محمدعبد المنعم الخفاجي ،الادب في التراث الصوفي ،ص:230

[3]-عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الكاملة ،ج2 ،ص:225

الشاعر في آخر القصيدة يُسقط عن وجهه القناع وينادي بالوقوف إمام الظالم والظلم ويُؤلّب الناس للثورة ويؤكد حتمية الثورة الموعودة والتي لا تتحقق إلا بولادة جديدة ،ويوفق الفعل بالقول قائلا :
من يوقف النَّزيف؟

وكلُّ مَا نُحِبُه يَرْحَل أَو يَمُوت
يا سُفُن الصَّمتِ يَا دَفَاتر المَاء وقبض الرّيح
مَوْعِدنا وِلَادة أُخرَى وعصْر قَادم جَديدْ
يَسقُطُ عن وَجهِي وعن وَجهِك فِيه الظِّل والقِنَاع وتَسقُط الأَسوار[1]

في النهاية يمكن القول هو صوت البياتي نفسه وصرخته من اجل الخروج من سنيّ غربته التي يعانيها في تعامله مع الوسط الذي يعيش فيه ،كما أمه في الوقت نفسه نداء الحلاج لاقتحام المجهول من اجل المحبوب

ثانيا: الموروث التاريخي:

الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة ،تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي ،فإن لها إلي جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية، والقابلة لتجدد علي امتداد التاريخ في صيغ وأشكال أخرى ،فدلالة البطولة في قائد معين أو دلالة النصر في كسب معركة معينة –تظل بعد انتهاء الوجود الواقعي لذلك القائد أو تلك المعركة –باقية وصالحة لأن تتكرر من خلال مواقف جديدة وأحداث جديدة وهي في نفس الوقت قابلة لتحمل تأويلات وتفسيرات جديدة إذ (إن التاريخ ليس وصفاً لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها،إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له ،فليست هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي)[2]

وهذه الدلالة الكلية للشخصية التاريخية ،بما تشتمل عليه من قابلية للتأويلات المختلفة هي التي يستغلها الشاعر المعاصر في التعبير عن بعض جوانب تجربته ،ليكسب هذه التجربة نوعاً من الكلية والشمول ،ليضفي عليها ذلك البعد التاريخي الحضاري ،الذي يمنحها لوناً من جلال العراقة .

وبالطبع فإن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوفق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي ،ومن ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة

[1]-عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الكاملة ،ج2 ،ص:229
[2]-مصطفي ناصف :دراية الأدب العربي ،الدار القومية لطباعة والنشر ،القاهرة (بدون تاريخ)،ص:5 6 7
- علي عشري زايد،استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر،دار الفكر العربي،القاهرة،مصر،(د ط)(د ت)[3]،ص:120

التاريخية والحضارية التي عاشتها أمتنا في الحقبة الأخيرة ،وإحباط الكثير من أحلامها ،وخيبة أملها في الكثير مما كانت تأمل من الخير[3] ،وسيطرت بعض القوى الجائرة على بعض مقدراتها ،والهزائم المتكررة التي حاقت بها رغم عدالة قضيتها ....انعكس كل ذلك على نوعية الشخصيات التاريخية التي استمدها شاعرنا المعاصر[1]

فإذا ما حاولنا تصنيف الشخصيات التاريخية التي استخدمها عبد الوهاب البياتي فنجدها تندرج تحت ثلاثة أنواع رئيسية :تمت كلها بصلة إلى طبيعة الظروف التي كانت تمر بها أمتنا في النصف الثاني من القرن العشرين هي بحسب استحواذها على اهتمام الشعراء وحماستهم :

فالشخصيات التاريخية التي ذكرت في أشعار البياتي تندرج تحت نوعين رئيسيين

1-الخلفاء والأمراء و القواد الذين يمثلون الوجه المضيء للتاريخ العربي الإسلامي .

2-الحكام والأمراء القواد الذين يمثلون الوجه المظلم للتاريخ العربي الإسلامي.

3-أحياناً لا يستعير الشاعر شخصية تاريخية واقعية وإنما يستعير شخصية عامة أو ما يمكن تسميته بالأنموذج التاريخي كشخصية الخليفة مثلاً أو شخصية الجلاد ...أو غيرهما من الشخصيات التي ارتبطت في تراثنا التاريخي بقيم ودلالات معينة ،والتي شاع استخدام شعرائنا لها لإثارة هذه الدلالات والقيم .

1/- صلاح الدين الأيوبي:

ولد صلاح الدين الأيوبي في سنة 532ه الموافق ل1137م وهو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب الملقب بالملك الناصر وهو القائد الإسلامي الشهير الذي رفع لواء الوحدة وتحرير بلاد الإسلام من العدو المغتصب و الاستعمار الكافر فهو من أعظم الشخصيات التي مرت في تاريخ الأمة الإسلامية والذي دافع عليها كما اتصف بالشجاعة و الانتصار[2]

[1]-علي عشري زايد،استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر،دار الفكر العربي،القاهرة،مصر،(د ط)(د ت) ص:121

[2]-عبد الله ناصع علوان،صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبين ،دار السلام ،ص:11

ولقد وظف البياتي شخصية صلاح الدين الأيوبي كرمز لمنجي اللاجئ الفلسطيني ففي قصيدة (الجرادة الذهبية)يمزج البياتي بين الموروث التاريخي من جهة ومعاناة الإنسان في عصره من جهة أخرى فيبدأ بتصوير الأمم المغلوبة التي تنتظر خيل صلاح الدين ويعد بالطوفان ،وبمجيء المبشر للإنسان قائلا :

أبعث حياّ بعد ألف عام

وفي ساحة الإعدام

وفي خيام اللاجئين ومقاهي مدن العالم ،دون وطن أو بيت

تتبعني كلاب صيد الموت

رأيت مزابل الشرق

وفي أسواق الملوك

عادوا بتيجان من ورق

من رحلة الضياع و الفلق

وحالمين يحرثون البحر

رأيت بؤس الشرق

رأيت مجد فقراء الأرض في الفيتنام

وفي خيام اللاجئين سيد الآلام

منتظرا خيل صلاح الدين

وصيحة الفرسان في حطين[1]

وهنا يشكو الشاعر من بؤس الشرق وملوك عصره المغلوبين الذين لا يبدؤون ولا يعيدون إلاّ عن أمرهم .وهم يشهدون في هذا العصر ضياع الفلسطيني المظلوم

[1]-عبد الوهاب البياتي،الأعمال الشعرية،ج2 ص:170.
[2]-ويكبيديا الموسوعة الحرة 00: 15 2017\04\08

والبائس الفقير الذي ينتظر خيل صلاح الدين لنصرتهم والدفاع عنهم حيث كان مجاهدًا كثير الغزو عالي الهمة جوادًا كريماً إلا أنهم كانوا مكتوفي الأيدي يعجزون عن فعل أي أمر لوطنهم والدفاع عنه سوى الخيانة ؛ولذلك يضيف في قصيدة (العرب اللاجئون):

يا من يدق الباب

نحن اللاجئون

متنا

وما (يافا) سوى إعلان ليمون

فلا تقلق عظام الميتين

باعوا صلاح الدين

باعوا درعه وحصانه

باعوا قبور اللاجئين [2]

يصف الشاعر ملوك عصره الخائنون لشعبهم ،الذين يعجزون عن حماية اللاجئين ومعاناتهم نتيجة الظلم وغياب الحرية و انغماس الحكام في ملذات الدنيا .....

2/- هارون الرشيد:

هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن على بن العباس بن عبد المطلب ولد في مدينة الري عام 149ه يعد من أشهر الخلفاء العباسيين جهادًا وغزوا واهتماماً بالعلم والعلماء توفي في مدينة طوس عام 193ه ووظفه البياتي كشخصية تاريخية تعكس مدي قوة العرب ،ويظهر ذلك في قصيدته :(عن الميلاد والموت)

ستعودين مع الطوفان للفلك حمامة

ستعودين بلا جارية هاربة من أسر هارون الرشيد

ستعودين إلى الأرض التي تخضر عودا بعد عود

ومع الميلاد والموت شرارات شموس من جليد [1]

ففي هذه الأسطر الشعرية أشار البياتي إلي قصة سيدنا نوح عليه السلام مع الطوفان الذي أهلك قومه وظهور البشارة بجفاف الأرض من خلال الحمامة .كما اتخذ البياتي هارون الرشيد كرمز إلى زمن قوة العرب والسيطرة والهيمنة التي كانوا يحكموها علي العدو علي عكس ما يعيشه حال العرب الآن،ولذلك وظفه البياتي في استرجاع الأيام الخوالي التي توحي بالأمل مثل :ستعودين ،شموس،تخضر....

3/- الإسكندر المقدوني:

وهو أحد ملوك مقدونيا الإغريق ولد سنة 356ه في مدينة بيلا فهو من أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ قام بتأسيس أكبر وأعظم الإمبراطوريات[2] التي عرفها العالم القديم كما يعد من أنجح القادة العسكريين في مسيرتهم إذ لم يحصل أنْ هُزم في أي معركة خاضها على الإطلاق ،قام بسلسلة من الحملات العسكرية والفتوحات توفي في مدينة بابل سنة 323ق م 1إلا أن البياتي وظف شخصية الإسكندر المقدوني كشخصية تاريخية تعبر عن مصير كل الطغاة وفي كل العصور حيث يقول في القصيدة المعنونة باسمه (موت الإسكندر المقدوني)

أيتها الحرائق الليلية

ها هو ذا الإسكندر الأكبر في المرآة

ينام يقضان على جواده أراه

مبللا بعرق الحمى وعطر الليل

تأكل لحم يده القطط

يحمله الجنود في محفّة الموتى على الرماح

ها هو ذا المنتظر المهزوم

ها هو ذا الإسكندر الأكبر في هيكله مطروح

[1]-عبد الوهاب البياتي،الأعمال الشعرية،ج2 ص:178

[2]-ويكبيديا الموسوعة الحرة،15:30 2017-04-08

أسطوره أعيش بين عالم يموت

وعالم يموت من جديد[1]

يعتبر الإسكندر المقدوني الرجل العملاق المنتصر المهزوم بعد الموت ومصير كل طاغية الموت ،حيث يري مأساته و انحلال جسده في الطبيعة و الديدان كيف تأكل لحمه وتترك جمجمته وهو عاجز عن القيام بأي عمل يخلصه ،كما يكشف عن هاجس البعث من جديد عنده ويخلق منه شخصية أسطورية في صراعها مع الموت والبحث عن العودة في شكل جديد إذْ يقول:

يعدو على قبري فارس مجهول

ملثم نعسان

تَفُوحُ من معطفه رائحةُ الحقول والجبال والمطر

مآبَ من سفر

ناديتُه وهو يمرّ متعباً،لكنه ارتحل

وغابَ في الجبل

مَخَلّفاً وراءه آثار أقدام على الرمل

وقمرًا يحكي على التلال منتظرا عودته في آخر المطاف

ففي هذه الأسطر يدب الأمل في جسد الإسكندر عندما يمر الفارس والبطل علي قبره وكانت رائحة الحقول والجبال تفوح من معطفه .[2]

4/-الخليفة:

أو الملك أو السلطان أو الأمير كلها وجوه تراثية متعددة لشخصية واحدة وهي شخصية الحكام المنافقين و الانتهازيين الذين وظفهم البياتي في أشعاره والذين يملكون دائما شحنات سلبية إذْ يقول :

[1]- عبد الوهاب البياتي،الأعمال الشعرية،ج2،ص:161

[1]-عبد الوهاب البياتي،الأعمال الشعرية،ج2.ص:164

لتحترق نوافذ المدينة

ولتذبل الحروف والأوراق

ولتأكل الضباع هذي الجيف اللعينة

وليحتضر نسْرُك فوق جبال الرماد

فأنت بحار بلا سفينة

وأنت منفيّ بلا مدينة

يا عالما عاث به التجار و الساسة ،يا قصائد الطفولة اليتيمة

لتحترق نوافذ المدينة

ولتحكم الضفادع العمياء

وماسحو أحذية الخليفة السكران

والعور و الخصيان [1]

لقد وظف البياتي شخصية الخليفة المنحرف الذي يرتكب الموبقات والظالم والمستبد الذي [2]يفتك بكل صوت شريف فيصوره الشاعر ضائعا في عالم لا يحكم فيه سوى العبيد و الإماء وماسحو أخذيه الخليفة السكران .ويقول:

سفينةُ الضباب يا طفولتي

تطفو على بحر من الدموع

تشيح في مرفأها

تجوع

تزني على رصيفهم

تستعطف الخليفة الأبلَهَ

[1]-عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الشعرية ،ج1 ص:482

[2]-المرجع نفسه،ج1 ،ص:482

تستجدي

تهز بطنها ترقص فوق لهب الشموع

سفينتي شائخة القلوع

يصور هنا الشاعر حتمية العيش في كنف الخليفة الظالم المستبد الأبله فهو مصدر كل الشرور إذْ يقول :تزني علي رصيفهم ،تستعطف الخليفة الأبله ،تطفو علي بحر من الدموع ،إلا أن البياتي وظف هذه الشخصية كرمز لسلطة القاهرة المنحرفة التي لا يجد الأمن في ظلالها سوى المنحرفين .[1]

[1]-المرجع نفسه،ج1،ص:483

الـفـصـــل الـــثـــانـــــي

الـشـخـصـيـات الأدبيـــة و الأســـطوريـــة

أولا: الموروث الأدبي:

لقد استخدم البياتي في مجال التراث الأدبي عدد كبيرًا من الشخصيات منها المعاصرة

و القديمة ومن أبرز هذه الشخصيات التي وظفها:

1/-أبو فراس الحمداني:

وهو أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، وكنيته"أبو فراس" من أسماء الأسد،ينتسب من جهة أبيه إلى العرب ومن جهة أمه إلى الروم.[1]ولد في سنة (933م/321ه)، في منبج، وهي بلدة سوريَّة تقع شمالي حلب، وكان أبو فراس يذاكر الشعر، وينافس الأدباء، وقيل إنّه كان يُظهر سرقات المتنبي الشعرية، فلا يجرؤ المتنبي على مباراته[2].ولم يهتم أبو فراس بجمع شعره ولا بتنقيحه وإنّما كان يلقيه إلى أستاذه ابن خالويه ولا نعلم رواية لديوانه غير رواية ابن خالويه.[3] وكما هو معلوم أنّ أبو فراس قفي جزءًا من حياته وهو في الأسر فجعل البياتي قصيدة باسمه وهي "روميات أبي فراس" وقد أكد البياتي بأنّها تحمل عذاب الانتظار والحنين إلى الوطن [4]. إذ يقول فيها:

كَتبْتُ فوق الصخر
اسمك، يا حبيبتي، و فوق موج البحر
فَمَحَت الرياحُ ما كتبتُ
وها أنا في الأسر
أكتبه ثانية فوق رخام القبر[5].

اللافت للنظر ومن خلال هذا المقطع نرى أنّ البياتي قد لبس قناع أبي فراس يعرض من خلاله تجربته وهو في الغربة والثورة والنفي، وهذا كله حققه الشاعر بالتكرار الذي يظهر من خلال انتهاء معظم الأسطر بحرف الراء وهو صوت مجهور مما أعطى قوة للكلمات (الصخر، البحر، القبر) التي تدل على الانفعال الشديد والحالة النفسية التي يعبر عنها الشاعر.

[1] - خليل الدوَيْهي، ديوان أبي فراس الحَمَداني، دار الكتاب العربي بيروت،ط2، (1414ه-1994م)، ص:7.
[2]- المرجع نفسه، ص:8.
[3]-المرجع نفسه، ص:11.
[4]- عبد الوهاب البياتي، محي الدين صبحي، البحث عن ينابيع الشعر والرؤيا، (حوار ذاتي عبر الآخر)،ص:68.
[5]-عبد الوهاب البياتي،الأعمال الشعرية،ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1995،ص:158.

فنجد الأسطر الثلاثة الأولى :يفصح عن خيبة الجهود في الثورة و الإصرار على بذل المساعي على الرغم من عمقها.ولكن ذهاب جهوده أدراج الرياح لم يفت في عضده، فعاد يحاول ثانية وهو في رمقه الأخير.

2/-أبو العلاء المعري:

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان الضرير[1]،ولد سنة 972م.من أهل معرّة النعمان، وهو مفكر عميق التفكير ملهم المعنى ملقى الحجة، وعالم من أكبر أساطين اللغة المشهودة لهم بالسبق والتفوق.

وهو إلى ذلك شاعر فنان، عريق في الفن، عارف بروائعه، خبير بأسرار الجمال ومواطن الجلال، وهو حر الفكر واسع الخيال فياض المعاني مشرق الديباجة.[2]

والشّاعر عبد الوهاب البياتي وظف شخصية "أبي العلاء" لتقاطعها مع شخصيته في فلسفته الحياتية بحيث اعتبرها بأنّها تدل على قلقه وحسرته والغربة التي يعش فيها.

وهذا ما يدل على أنّ البياتي قد أعجب بشخصية "أبي العلاء المعري" شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء فوصف الناس بصفاتهم الحقيقية لأنّه لم يكن لديه ما يخسره وليس لديه ما يخشاه. بحيث يقول في قصيدته "محنة أبي العلاء":

هذا بلا أمسٍ وهذا غدهُ قيثارةٌ خرساء
داعَبها، فانقطعتْ أوتَارُها ولاذَ بالصهباء
وذا بلا وجهٍ، بلا مدينةٍ، وذا بلا قناعْ
أشعلَ في الهشيم نارًا وانتهى الصراع
وذا بلا شراعْ
أبحر حول بيته وعادْ
حياتُهُ رمادْ
وليلُهُ سهاد

يا موتُ! يا نعاسْ!.[3]

فمن خلال هذا المقطع(1) "فارس النحاس" نرى الشّاعر قد وظف شخصية المعري بأسلوب تكنيكي ساخر، بحيث جعل شخصية المعري متكأً فنيّاً مزاوجا من خلالها بين فساد العصر الذي عاش فيه المعري وفساد عصرنا الراهن الذي نحن فيه،

[1]- أبي العلاء المعري، ت:أمين عبد العزيز الخانجي، اللزوميّاتْ، منشورات مكتبة الهلال بيروتْ، مكتبة الخانجي القاهرة، ج1،ص:1.(د.ط)

[2]- المرجع نفسه،ص:3.

[3] -عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية، ج2، ص:24.

محاولا أن يجعل المعري شاهد عيان على كل ما يحدث في واقعنا الراهن من ظلم وانحلال وضياع.
ويقول أيضا:

متُّ وما تزال حيًا أنت والريح التي تبكي
تهز البيت في المساء
حرمتني من نعمة الضياء
علمتني ثقلَ غيابِ الكلماتِ وعذاب الصمتِ والبكاء
الشارع الميّت غطى وجهة الصقيع
والباب أغلقت إلى الأبدْ
ثلاثة منها أطل في غد عليك
مُقبلاً يديك[1]

ففي هذه الأبيات الأخيرة من مقطع "فارس النحاس" استحضر الشاعر شخصية أبي العلاء المعري معادلاً وجوديًا لشخصيته اليائسة المتشائمة بصور هي غاية في الشفافية والإثارة والاستبطان الارتدادي الماورائي لما تضمره شخصية المعري من دلالات مردها العزلة والانكفاء على الذات، طالبا منها إدراك الحقيقة المثلى في الحياة ألا وهي صفاء الحرية في عالم الكبت والحرمان، وهذا ما أكده علي عشري زايد في كتابه "أنّ الشاعر عبد الوهاب البياتي في قصيدته محنة أبي العلاء قد أعطى لها عدة أبعاد دلالية ولكنها ترتد كلها إلى قضية اعتزاله للحياة رافضًا لها وبرما بما فيها من فساد وانحلال وضياع وعفن"[2].

3/-عمر الخيام:

وهو غياث الدين أبو الفتح عمر إبراهيم الخيام هو أحد الأعلام في الشرق، ولد في نيسابور في أواسط القرن الخامس الهجري، وتوفي أوائل القرن السادس، وكان من ألمع علماء عصره و أبرزهم، وقد برز في الفلسفة والفلك والرياضيات والطبيعيات، وقرض الشعر بالفارسية والعربية، وألف الرسائل والكتب الجليلة في مختلف العلوم[3].

---

[1] - المرجع نفسه،ج2، ص:25.

[2]-ينظر، علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر،دار الفكر العربي،نصر،القاهرة،(1417ه/1997)، ص:143(د.ط).

[3]- أحمدحامد الصراف،عمرالخيام(الحكيم الفلكي النيسابوري،حياته،علمه، رباعياته)،مطبعة الشعب(دار الأخبار) بغداد، الطبعة الثانية، 1949، ص:3.

وقد استحضر البياتي شخصية عمر خيام في قصيدته وهي شخصية تراثية بحيث كتبها باسم "ديك الجن"يقول فيها:

أنا أميرُ الليل
قتلتُها-مزّقتها بالسيف
تحت سماء الصيف
مُرنّحًا سكران
أشعلتُ في أشلائها النيران
صنعتُ من رمادها فراشةً دُمية
وقدحاً مسحور
لا أرتوي منه، فيا خمّار حان النور

ماذا لنار بعثها أقول؟.

فهذه الطبيعة الحسناء

قدّرت الموت على الشر

واستأثرت بالشعلة الحية في تعاقب الفصول[1]

ففي هذه الأبيات استعمل البياتي شخصية عمر خيام (ديك الجن) الذي وقع في حب الجارية الرومية وتزوجها، وبتأثير الغير عليه قتلها، لأنّه كان يظن أنّها كانت تخونه. ليكشف في الأخير وبعد فوات الأوان أنّ ظنه لم يكن في صوابه وزوجته كانت بريئة من هذه التهمة فندم ندمًا شديدًا ثمّ بعد ذلك صنع من رمادها كأسين كان يشرب فيهما الخمر.

ولكن البياتي أعطاها دلالة أخرى بحيث تقنع بشخصية عمر خيام لأنّه وجد فيها ما يعبر به عن معاناته وحسِّه المأساوي الذي يجتاح ذاته، وجعل عمر خيام(ديك الجن) بعد فشله في الحب دلالة على الشاعر المهزوم وأنّ الحياة عبارة عن آلام وحزن ليس له نهاية.

[1]- عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية ،ج2، ص:147.

أي أنّ" عبد والوهاب البياتي جعل ديك الجن إطارًا لتجربة متعددة الأبعاد، فأسقط عليه بعض الدلالات المعاصرة حيث جعل ديك الجن –بعد فشله في الحب- رمز للشاعر المهزوم الذي يحارب الفساد والسقوط في عصره بأسلحته المفلولة "[1]

4/-شهرزاد:

وهي ابنة الوزير وزوجة شهريار، ويقال بأنّها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ والشعر[2].وقد وظف عبد الوهاب البياتي هذه الشخصية الأدبية في قصيدته "الجرادة الذهبية " حيث يقول:

قبل طلوع الفجر
رأيت شهرزاد
جاريةً في مدن الرماد
تباعُ في المزاد[3].

فمن خلال هذه الأبيات من المقطع الخامس من القصيدة نرى أنّ البياتي وظف هذه الشخصية لغرض أدبي. وقد استعمل شخصية شهرزاد رمزًا على المرأة الجارية التي كانت تُبَاع وتُشْتَرَى.

وكذلك قد أعطى لها رمزًا ودلالة أخرى توحي إلى سقوط الدول العربية، واحدة وراء الأخرى في يد العدو الذين احتلوا واستعمروا خيراتها وثرواتها فأصبح العرب مثل الجارية، أي أنّ الدول الغربية تتقاسم وتشترك مع الدول العربية في خيراتها وثرواتها.

5/-المتنبي:

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد، ويقولون هو أحمد بن الحسين بن مرّة بن عبد الجبار، على أنّه قد عرف بأبيه فاشتهر بابن الحسين.[4]وقد كان مولده في مفتتح القرن الرابع هجري سنة(303).[5]

كما أنّ الأدباء اختلفوا في شعره فهناك فريق أنكر على أنّه شاعر وفريق يؤكد بأنّ المتنبي وزميليه الطائين هم أشعر شعراء العربية ومن هذا الفريق ابن الأثير الذي

---

[1] -علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر،ص:145.

[2]- أحمد الشويخات،"شهرزاد"، موسوعة عربية عالمية، 2004م.

[3]- عبد الوهاب البياتي،الأعمال الشعرية ، ج2، ص:172.

[4]- محمد كمال حلمي بك، أبو الطيب المتنبي حياته وخلقه وشعره وأسلوبه، أدارة مكتبية ومطبعة الشباب، الإسكندرية،(شارع عبد العزيز خلف)، سنة (1339ه/1921م)، ص:2.

[5]- المرجع نفسه، ص:3.

قال باب اللام وباب الميم من شعر المتنبي قد تضمنا وحدهما من الجيد النادر ما لم يتضمنه شعر أحد من الفحول من شعراء العرب.[1]فالمتنبي شاعر مثل الألوف من الشعراء الذين أخرجتهم لنا لعربية.[2]

وقد وظف البياتي شخصية أبي الطيب المتنبي باعتبارها شخصية قديمة تمثل قضية سياسية فوظَّف سيرته وحالاته في قصيدة "موت المتنبي" من ديوان النار والكلمات يقول:

سفينة الضباب يا طفولتي
تطفو على بحرٍ من الدموع
تَشيخ في مرفأها
تجوع
تزني على رصيفهم
تستعطف الخليفة الأبلَهَ
تستجدي
تهز بطنها، ترقص فوق لَهب الشموع
سفينتي شائخة القلوع
لكنّها والبحر في انتظارها
تهمّ بالرجوع. [3]

فمن خلال المقطع الثاني من القصيدة نرى أنّ البياتي قد وظّف سيرته وحالاته في القصيدة ليصوّر خلالها المتنبي الشاعر الثوري القلق، صراعه ضد السلطة الغاشمة ممّا أدى إلى موته بطريقة فاجعة و البياتي بحث من خلاله قناع المتنبي أنّ الصوت الناصع سينتصر في النهاية.

وقد أكد علي عشري زايد "أنّ عبد الوهاب البياتي في قصيدة "موت المتنبي" يصور من خلاله الضغوط التي تمارسها السلطة على صاحب الكلمة المعاصرة ليصبح بوقًا في جوقتها، يهلل لانكساراتها، ويمجد سقوطها ويتغنى به، وإحساسه بالسقوط والانحدار وهو يمارس هذا الدور الكريه، وتمزيقه الأليم بين خضوعه لهذا الدور

[1]- المرجع نفسه، ص: 128.
[2]- المرجع نفسه، ص: 130.
[3]- عبد الوهاب البياتي ، الأعمال الشعريّة، ج1، ص:482.

وبين ما يفرض عليه من عذبات باهظة إذا هو رفضه، ثم يقينه الذي لا يهتز بأنّ صوته الناصع سينتصر في النهاية".[1]

فالبياتي صور حياة المتنبي تصويرًا دراميًا أمام المواقف التي واجهته ويتحدث فيها عن فجعية الشاعر وصراعه الأبدي مع السلطة.

6/-الحلّاج:

هو الحسين بن منصور بن محمي الحلّاج أبو مغيث ويُقال أبو عبد الله، كان جده مجوسيًّا.[2]

ولد الحسين بن منصور الحلّاج في بلدة تور في الشمال الشرقي من مدينة البيضاء في مطلع عام 244ه/858م .[3]ويقول المستشرق ما سنيون (Massignon) في مقدمة كتاب الطواسين:" وليس هناك من متصوفٍ في التاريخ أكثرَ "عشرة مع الله" من الحلّاج الذي يتصل في حديثه معه "أنا"و "أنت"و"نحن"وليس هناك من شعر صوفي أشدَّ حرارةً وأكثر بعدًا عن المادة من شعر الحلّاج.[4]

ورأى عبد الوهاب البياتي بقوة الصلة بين أفكاره وملامح تجربته الذاتية وبين ملامح التجربة التراثية لشخصية الحلاج وهذا ما وجدناه في قصيدته "عذاب الحلّاج" من ديوان "سِفْرُ الفقر والثورة" بحيث يتحدث الشاعر في المقطع الثاني من القصيدة من خلال شخصية الحلّاج يقول:

ما أوحشَ الليل إذا انطفأ المِصباح
وأكلتْ خبز الجِياع الكادحين زمرُ الذئاب
وصائدو الذباب
وخَرّبت حديقةَ الصباح
السحبُ السوداءُ والأمطارُ والرياح
وأوحش الخريف فوق هذه الهضاب
وهو يدبّ في عروق شجر الزقوم، في خمائل الضباب
يا مُسكري بحبِهِ
مُحيري في قربهِ
يا مغلق الأبواب

[1]- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص:139.
[2]- طه عبد الباقي سرور، الحسين بن منصور الحلّاج شهيد التصوف الإسلامي(344ه/309م)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، 2014،ص:30.
[3]- المرجع نفسه ص: 31.
[4]- المرجع نفسه، ص:52.

الفقراء منحوني هذه الأسمال
وهذه الأقوال
فمُدّ لي يديكَ سنوات الموت والحصار
والصمت والبحث عن الجذور والآبار.[1]

فهذا المقطع الثاني المعنون ب"رحلة حول الكلمات" نجد أنّ البياتي" نجد أنّ البياتي يتحدث عمّا يشعر به من وحشة وحزن حين يجد طعام الفقراء والكادحين نهبًا للمستغلين والكسالى والعاطلين، مازجًا ملامح الحلاج –كثائر صوفي- بملامحه هو الخاصة كثائر عصري،فنجد مفردات المعجم الصوفي تمتزج بمفردات معجم البياتي الخاص فوحشة الليل وانطفاء المصباح، والسكر بحب المحبوب، والحيرة في قربة من صميم المعجم الصوفي، بل إنّ البيتين " يا مسكري بحبه. محيري في قربه" يكاد يكونان صياغة حرفية لبعض مناجيات الحلّاج وعبارة الحلّاج بالنص"يا من أسكرني بحبه، وحيرني في ميادين قربه"[2]

وأما خبز الجياع والكادحين، وزمرُ الذئاب، وصائدو الذباب –رمز العطالة والكسل-

فهي مفردات شائعة في معجم البياتي الشعري.

ويستمر الشاعر بعد ذلك مصورًا كيف يستمد إلهامه وسمته من الفقراء، وأنه إنما يتحد باسمهم(الفقراء منحوني هذه الأسمال/وهذه الأقوال).

وقد أحس البياتي أنّ جل ملامح شخصية الحلّاج –الذي التف حوله العامة والفقراء الذين كان يعطيهم زاد الأمل والذي تعذب وصلب في سبيل فكرته إيمانًا منه بأنّ معاناة العذاب والاستشهاد في سبيل الفكرة. هو الذي يمنح الفكرة وصاحبها معًا البقاء والخلود. وكانت الكلمة هي سلاح الحلّاج في كفاحه- تعبر عن جوانب من تجربته هو الخاصة، فقد كان واحد من الشعراء الذين تبنوا قضايا اجتماعية خاصة وسخّروا شعرهم للدفاع عنها، وقد انتحل البياتي شخصية الحلّاج، واتخذ منه قناعا يعبر من خلاله عن أفكاره ومبادئه، لما استخدمه من ضمير المتكلم الذي يدل على كمال اتحاده بشخصية الحلّاج.[3]

[1]- عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية ، ج2، ص:11

[2] - الحلاج،ت:لويسماسينيون، وبول كراوس، أخبار الحلاج، بول جتنر، باريس، الطبعة الثاثة،1957، ص: 18.

[3]- ينظر، علي عشري زايد استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص:(210،211).

7/-ناظم حكمت:

ولد ناظم حكمت في سالونيك وهي من أرض اليونان، في عام 1902م، وفور ولادته عادت أسرته إلى اسطنبول.وكان جده محمد ناظم باشا رجلا واسع المعرفة، وشاعرًا يجمع بين العربية والفارسية، وهو الذي صرف حفيده ناظم إلى الشعر، وكان ناظم بين ندر الشعراء من عانى الظلم، والحيف... حتى كانت صيحته " أنا الذي تجسدت في مدينة اسطنبول .. فاشهد يا شعب تركيا وآن لك أن تشهد ما عانى من آلام"

وفي قصيدة عن ناظم حكمت، كتب بابلوانيرودا(Pablo n'éroda) الحائز جائزة نوبل ما يلي: "انه شاعر كبير، وشعره كان للعالم بأسره،

ورجل كبير ينتمي إلى غالبية البشر

ووطني كبير عذب في وطنه."[1]

لقد كان لناظم حكمت أصدقاء خُلّص في جميع أرجاء العالم وكان يحب ويقدر جميع الشعوب. وقد ارتبط البياتي بصداقة مع هذا الشاعر، في أثناء وجودهما في موسكو قبل ثورة جويلية 1978 وتوثقت عرى هذه الصداقة بعد عودة البياتي إلى موسكو، بعد الثورة، ملحقًا ثقافيًا عام 1909، واستمرت تلك الرابطة إلى وفاة ناظم 1963 وقد كان البياتي شديد الإعجاب به حتى رثاه في قصيدته من ديوان "النار والكلمات" .

ففي المقطع الربع تحت عنوان "جلال الدين الرومي" يتحدث بلسان مولانا الرومي قائلا:

" أصغ إلى الناي يئنُّ راويًا..."

قال جلال الدينْ

النار في الناي

وفي لواعج المحبِّ

والحزينْ

الناي يحكي عن طريقٍ طافحٍ بالدمِ

يحكي مثلما السنين.[1]

[1]- زهير السعداوي، علي فائق البرجاوي مع ناظم حكمت في سجنه(مذكرات لبناني زامل الشاعر في سجن بورصَة)، دار ابن خلدون كورنيش المزرعة- بناية ربيفييرا سنتر بيروت، ط1،مارس 1980، ص:8،5.

فمن خلال هذا المقطع من القصيدة نجد أنّ البياتي يرمز بالناي إلى الروح المحترقة عن طريق الكفاح، لا عن طريق التقاليد البالية التي هي قيد للحركة ونجده أيضًا يحكي عن طريق طافح مكتظ بالدم، فالناي هنا رمز الثورة.

فيعد هذا الشاعر التركي من رموز النضال في العصر الحديث فقد تحمل عناء السجن الانفرادي الطويل، ثم النفي والغربة في الاتحاد السوفياتي لميوله الفكرية، محتفظا في أثناء ذلك بالمبادئ التي آمن بها من أجل شعبه، حتى وفاه الأجل.و البياتي تأثر برأي ناظم حكمت لشأن الحرية الحقيقة ونبذ القيود وترك التكلف.[2]

ثانيا: الموروث الاسطوري:

تعريف الأسطورة :يقول صاحب اللسان في مادة /سطر/:"السطْر ،والسطَرُ:الصفُّ من الكتاب والشجر والنخل ونحوها ...والأساطير:الأباطيل ،والأساطير :أحاديث لا نظام لها ،واحدتها إسطار ،إسطارة بالكسر ،و أسطيرٌ،وأسطورةٌ،و أسطور،وأسطورة بالضم."[3]

ولا يختلف الفيروز آبادي عن متقّمه في شرح مادّة "سطر"إذ يرى أنَّ السطر هو:"الصف من الشيئ كالكتاب والشجر وغيره .جمع أسطُرو سُطور وأسطار.ج أساطير....والأساطير الأحاديث لانظام لها جمع إسطار وإسطير بكسرهما وأسطور وبالهاء في الكل ،سطَّر تسطيرا ألَّف..."[4]

[1]- عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية، ج1، ص:469

[2] -ينظر، د:صلاح الدين عبدى، استدعاء التراث في مرآة أشعار عبد الوهاب البياتي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة رازىكرمانشاه، سنة الأولى، العدد2، شتاء،2012م ،ص:38

[3]- ابن،منظور،لسان العرب ،ج:3،ص:2007.

[4]- الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ج2،ص:49.

يجمع هذان المعجمان على معنيين :الأول هو الصف من الشيء ،وهو المعنى الطبيعي والأولي لمادة –سطر- تطور مع مرور الزمن إلى المعنى الثاني ،وهو الأباطيل والأحاديث العجيبة التي لا نظام لها.[1]

ويعتقد أنّ التعريف الثاني الذي اتفقت عليه هذه المعاجم – وربما غيرها – قد وضع في اعتباره مفهموم الإله الواحد في الإسلام حينما أراد أن يضع حدا للأسطورة ; فذكر الآلهة فيها وتعددها جعل المسلمين يسمونها بالأباطيل ،وجعلهم يحجمون من ترجمتها .

يعتقد البياتي أنه قد استعمل الرمزية الأسطورية في الوقت المناسب من تطوره الشعري وذلك من ضمن بحثه عن الذات ،أي عن "الأنا والآخر"وهذا ما جعله يفهم الواقع بشكل آخر ،أي بواسطة ما كان يستعمله من أدوات في عرض فهم آخر للواقع تمتزج صورته بالصورة الناتجة من إدخال النسق الأسطوري في بنية القصيدة التي تخضع إلى نمط البناء الأسطوري ،ليجد فيها الشاعر شيئا من التحرر من قيود الواقع باكتساب أبعاد خيالية هي ضرورة ملحة من ضرورات الإنتاج الفني الذي يطمح إليه الشاعر في تحقيق غاياته في الإنجاز ،فتبرز المظاهر ،أو التقنيات الأسلوبية للأسطورة في بناء القصيدة نفسها ،زمن أظهرها (السرد القصصي)الذي تعتمده الأسطورة في حركة أحداثها وشخصياتها ،إذ تدخل الأحداث والشخصيات ،فضلا عن المكونات الأخرى ،في بنية القصيدة وتصبح من العناصر الرئيسية فيها .لتفرض وجودها على الشاعر ليوفيها حقها وكثيرة هي الشخصيات التي وظفها البياتي ،وقد كانت السمة الرئيسية لهذا التوظيف هي انه لا يستلزم بملامح الشخصية في سياقها الأسطوري إذ يعيد خلقها وفقا لموجب الفن والغاية ،فالشخصية نفسها تختلف في صور ظهورها من قصيدة إلى أخرى [2].

ومن أبرز الصور الأسطورية التي نلمسها عند البياتي :

1/-أورفيوس :

[1]- فرايزر ،جيمس،أساطيرفي أصل النار :ترجمة يوسف ثلب الشام،ص:5.
[2]- الدكتور حسن الخاقاني،موقع كلية الآداب ،جامعة الكوفة ،ملف،ص:6.

كاتب وموسيقي أسطوري إغريقي في الديانة اليونانية القديمة وفي الميثولوجيا الإغريقية وقد تم تأليف عدة قصص حوله وحول حياته[1].

يريد أورفيوس إعادة حبيبته عشتار ـ آلهة الخصب ـ إلى الحياة وهو مستعد للتضحية بكل شيء من اجل إعادتها ،ومعروف أن "أورفيوس "لم يستطع إعادة عشتار.[2] أن انتقاء البياتي لهذه الأسطورة دون غيرها من الأساطير التي تتضمن ابطالا فائزين : "ليدل على مجاهدة وفجيعة تبلغ حد اليأس أو تكاد.اليأس من أن تبعث حضارة هذه الامة مرّة أخرى بعد كل المحاولات والتضحيات في هذا السبيل "[3].ومن ذلك نجد أن الشاعر يتساوى مع أورفيوس في عملية البحث . أورفيوس يبحث عن "عشتار"والبياتي يبحث عن ميلاد إنسان جديد .

يقول البياتي :

عبثا تصرخ فالليل طويل

وخطا ساعاته في مدن النمل حريق

كلما نادتك عشتار من القبر ومدت يدها

ذاب الجليد

وانطوت في لحظة كل العصور

وإذا بالليل ينهار وتنهار السدود

وإذا بالميت المُدْرج في أكفانه يصرخ كالطفل الوليد

بعد أن باركه الكاهن بالخبز وبالماء الطهور

آه ما أوحش ليلاتي على أسواري آشور

مع الموت وأوراق الخريف

وأنا اصعد في عالمها السفلي نحو النور والفجر البعيد

---

[1]- ويكيبديا ،الموسوعة الحرة ،2017/02/14،الساعة :18:20 .

[2]- الدكتور خالد عمر يسير ،مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ،فصيلة محكمة ،العدد 16.شتاء 1392ه،ش/2014م،ص 14 .

[3]- صبحي ،محيي الدين ،الرؤيا في شعر البياتي ،ص113,314.

ميّتا ابعث في درع الحديد

أيها الثور الخرافي الذي فوق دخان المدن الكبرى

يطير [1]

فقد اتخذ الاثنان:اورفيوس والشاعر في معاناة الغربة والنفي وسحق كرامة الإنسان.

وظل هذا الشعور ملازما للبياتي ليظهر في رموز اخرى منها (السندباد)

2/- السندباد :

تعتبر حكاية السندباد البحري واحدة من اشهر حكايات الف ليلة وليلة التي تدور احداثها في الشرق الاوسط ،زار السندباد الكثير من الاماكن السحرية والتقى بالكثير من الوحوش اثناء إبحاره في سواحل افيرقيا الشرقية وجنوب آسيا وقد قام السندباد بسبع سفرات لقي فيها المصاعب والأهوال واستطاع النجاة منها بصعوبة .[2]

وقد وظف البياتي شخصية السندباد ليدل به على وجه من وجوه الضياع وذلك في قصيدة(قمري الحزين): البحر مات وغُيّبَت أمواجه السوداء قلع السندباد

ولم يعد أبناؤه يتصايحون مع النوارس والصدى

المبحوح عاد

والأفق كفنه الرمادْ

فلمن تغني الساحرات ؟

والبحر مات

والعشب فوق جبينه يطفو وتطفو دنيوات

كانت لنا فيها ،إذا غنّى المغني ،ذكريات

غرقت جزيرتنا وما عاد الغناء

إلا بكاءْ

[1]- البياتي ،عبد الوهاب ،الأعمال الشعرية ،ج2،ص:192.

[2]- ويكيبيديا ،الموسوعة الحرة ، 2017/02/14،الساعة :19:30

والقّبراتْ

طارت ، فيا قمري الحزين

الكنز في المجرى دفين [1]

فقد صاحب شعور الشاعر الوحدة والضياع فكان واضحا في شعره ، فيتسم الضياع بإفتراق بين الأمير الفارس والحبيبة التي قد تكون رمزا للثورة أو الحرية فتجري القصيدة على نسق لتكشف عن معاناة .[2]

ويحدثنا الشاعر في قصيدة أخرى عن مدينة لا يسميها ملأها الأوغاد الذين استنفذوا طاقة أبنائها وهؤلاء الأوغاد يذكرون الشاعر بإله المان في الميثولوجيا اليونانية (مأمون): الذي يمثل إله المال في الميثولوجيا الإغريقية.

مامون والدولار يدعمه بإزائها والفكر والعدم

وصبيَّة تبكي ،ومركبة يسطو على حوذيها خدم

وأرى بغايا ينتجبن علي حب تدوس رفاته القدم

وعيون شحاذْ ملوّثة ودما يسيل ،وباعة وجموا

من اين ؟والأمطار تحجبهم عنّا وسقف الليل ينهدم

إنا هجرناهم وليس لنا في أرضهم بعث ،ولا رمم[3]

المدينة والأوغاد - عنوان القصيدة – اللذين يحدثنا الشاعر عنهم غير محددين ،مما يجعل حديثهم متجاوزا حدود الزمان المكان ،لينطلق إلى رحاب البشرية جمعاء وتاتي أسطورة (مأمون) إله المال في الميثيولوجيا اليونانية لتعمق تجربة الشاعر ،ولتزيدها غنى وشمولية ،ولتؤكدان نضال الإنسان عميق في بعده الزماني ، ومستمر حتى تحقيق أهدافه .

[1]- البياتي ،عبد الوهاب ،الاعمال الشعرية ،ج2 ،ص:21.

[2]- الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي (اطروحة)،علي كاظم اسد ،حسن عبد عودة حميدي الخاقاني ،جامعة الكوفة 2006/03/15.،ص:59.

[3]- البياتي ،ديوان،ج1،ص :195.

ويلاحظ هنا إن الأسطورة مقحمة على بناء القصيدة ، ولم يستطع الشاعر ان يجعلها جزئا ملتحما في نسجها ،وهذا ينسجم مع طبيعة المرحلة الزمنية التي صدر فيها ديوان (اباريق مهشمة) عام 1954 حين كان البياتي في مرحلة مبكرة جدا في التعامل مع الأسطورة. كما أن المنفى الذي عاشه البياتي نتيجة الإحداث التي طغت عليها سُحُب سوداء في بلاده دفه إلى استخدام أسطورة سيزيف ذلك الإنسان الذي حكمت عليه الآلهة في عالم الأموات أن يدحرج صخرة ضخمة صعودا فإذا بلغ القمة إنحدرت واستقرت في قاع الوادي فيعود إلى دحرجتها من جديد لأنه أراد أن يبقى على قيد الحياة بعد أن مات بعد أن مات وبعث ورفض الرجوع إلى العالم الآخر ،فهو رمز للجهود الضائعة[1].

3/-سيزيف :

أحد أكثر الشخصيات مكرا بحسب الميثولوجيا اليونانية حيث استطاع إن يخدع اله الموت ثاناتوس مما اغضب كبير الآلهة زيوس ،فعاقبه بأن يحمل صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه ،فإذا وصل القمة تدحرجت إلى الوادي ،فيعود إلى رفعها إلى القمة ،ويظل هكذا حتى الأبد.[2]

عبثا نحاول أيها الموتى الفرار

من مخلب الوحش العنيد

الصخرة الصّماء للوادي يدحرجها العبيد

سيزيف يبعث من جديد

في صورة المنفى الشريد [3]

وجد البياتي في سيزيف ذلك الفلاح الضعيف الذي يعاني ويُظْلَم ويعمل لكن جهده يذهب هباءً دون جدوى ،فالشاعر هنا أحس بمرارة الظلم الذي يعانيه سيزيف فجَسّد

[1]- مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ،ص:138 .
[2]- ويكيبيديا في :2017/02/17،الساعة 20:35.
[3]- البياتي ،ديوان ،ج1،ص:261.

هذا الرمز في القروي وعامل الحقول والإنسان الضعيف أينما وُجد متمردا على الواقع الذي يعيشه [1]

4/-جلجامش :

لا تخلو أسطورة قصائد البياتي من ذكر أسطورة جلجامش التي تتناول موضوع الخلود وتحتوي في الواحها على قصة الطوفان التي حاء ذكرها في القرآن .إذ صاغ البياتي عباءتها بنسيج فني مختلف عن لغة الاسطورة حتى أصبح التفريق بين لتغه الشعرية ولغة الأسطورة أمرا صعبا فتبدو قصيدته وكأنها كتابة جديدة للأفكار الواردة في الأسطورة كما في الأبيات الآتية :

لن تجد الضوء ولا الحياة

فهذه الطبيعة الحسناء

قدرت الموت على البشر

واستأثرت بالشعلة الحية في تعاقب الفصول

هذه الأفكار ذاتها نجدها في ملحمة جلجمانش.

هي ملحمة سومرية مكتوبة بخط مسماري على اثنا عشرة لوحا طينيا اكتشفت لأول مرة عام 1853م في موقع اثري اكْتُشِف بالصدفة وعُرِفَ فيما بعد انه كان المكتبة الشخصية للملك الآشوري ،آشوربانيبال في نينوي في العراق ويُحْتَفظُ بالألواح الطينية التي كتبت عليها الملحمة في المتحف البريطاني الألواح مكتوبة باللغة الأكادية ويحمل في نهايته توقيعا لشخص اسمه شين نيقي نونيني الذي يتصور البعض انه كاتب الملحمة التي يعتبرها البعض أقدم قصة كتبها الإنسان[2] .

ففي هذه الملحمة تحاول صاحبة الحانة منع جلجمانش من متابعة رحلة البحث عن الخلود .فهي تشارك البياتي في بحثه ايضا عن الخلود ما جعلها تعبر عن ما في نفسه .

[1]- الدكتور خالد ،مجلة الدراسات في اللغة والعربية وآدابها ، الأسطورة ووظائفها ،ص:8.
[2]-ويكبيديا ،2017/02/23،سا:19:32.

ورأى البياتي الأسطورة ولا سيما -أساطير الموت والانبعاث – معادلا موضوعيا لما عاناه وهو صغير :

ولكن الطفل الذي كنته

والذي انحدر من أعماق قرية فقيرة حكم عليها بالصمت منذ آلاف السنوات

....

فالحياة الذي عاشها هذا الطفل كانت أشبه بالموت نفسه

أو بأطلال دراسة مجهورة ولكنها بلا أساطير

كنا نعاني الموت ونتنفسه

وكانت المقبرة قبالنا

فلا يمر يوم إلا ونرى الموتى اللذين يشعرون إلى مثواهم الأخير

....

فالموت موت الإنسان والحيوان كان أمرا مألوفا لدينا

...

لقد كان لدينا الموت يتربص بنا في كل مكان [1].

تعلق الباحثة ريتا عوض على تأثير هذه المرحلة على شعر البياتي قائلة:[استطاع البياتي في هذه المرحلة بالرمز والأسطورة إن يُوَحّد بين تجربته الذاتية الخاصة وبين التجربة الإنسانية العامة التي تسكن لا وعيه ،وكانت قضيته الأساسية هي الفقر ومواجهة الموت في الريف العراقي حيث عاش طفلا ،فالحياة التي عاشها هذا الطفل "البياتي"أشبه بالموت نفسه[2].

ونجد فكرة الموت في الحياة في قصيدته "مرثية اخناتون"فتظهر جلية واضحة :

يا أيها المعبود

[1]- البياتي ،ديوان ج2،ص:82.83.
[2]- عوض ،ريتا ،اسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث ،ص:175.

أنت الذي يعيش في الحقيقة

ممجّدا مباركا قدوس

تصعد في طفولة النهار

وموته الفاجع في الكهولة

من أفق الشرق إلى الغرب على عباب بحر النور والبخور

متوجا بزهرة اللّوتس والثعبان

حبا جميلا خالدا معبود

وعاشقا معشوق

شمس النهار أنت ،في جلالك العظيم

وضعت نيلا في السماء ،وضعت منه أمواجا على الجبال

تسقط الحقول

انك في قلبي ترى مدائن الموت و أهراماتها والبحر

والسحاب

انك لا تموت

انك لا تفنى إلى الأبد[1].

يسكب البياتي على القصيدة من روحه ومن أوجاعه و أوجاع البشر الفانين ،ويحيل الإله إلها جديدا وعاشقا امتلأ قلبه بحب الحق والخير والجمال ،ولذا فإن شاعرنا منفي من محيط الآلهة الطغاة مثل بروميثيوس – سارق النار - ،ومثل اخناتون قائد أول ثورة ثقافية في التاريخ القديم ،ومثل أوزوريس الذي مزقه الطغاة ارباً ارباً ،ونثرو لحمه ،فاستخدم الأسطورة هنا تعبير عن استمرارية الحياة ولأنها هيّأتها ،قد

[1]- البياتي ،ديوان ،ج3،ص:128.

تتبدل ويجري عليها التطوير والتحوير في أثناء سيرورتها ،ولكنها لا تتلاشى لأنها جزء راسخ في الطبيعة وفي فكر البشر .[1]

وقد عبر شاعرنا في ديوان "الموت في الحياة"من خلال الرمز الذاتي والجماعي عن القلق الروحي والمادي قلق الإنسان الباحث عن تغيير مصيره وواقعه المر :

مملكة الموت على أسوارها الحرّاس

يرنق النعاس

عيونهم فلنفتح البوابة

وليدخل الغالب والمغلوب

فالفجر في الدروب

عما قريب ،يوقظ الحرّاس

ويقرع الأجراس [2]

5/-مملكة الموت :

أسطورة وردت الينا من الحضارات القديمة ،وهي عندهم في العالم السفلي لها عالمها المختلف عن عالمنا ،أما عند البياتي فتتحول إلى مدينة معاصرة غلب النوم أهلها ، " وتساوي الغالب والمغلوب إمام الموت والعقم و اليباس ،وحين جاء ...الإنسان المعاصر ظل عريان إمام السُّور ولم يستطع دخول العالم ،والتمتع بخيراته "[3]ولكن خطوات الفجر قادمة لا يقاظهم :"والبياتي يريد هنا ان يزاوج بين حقيقة الموت وحقيقة الحياة في عصرنا الراهن .فالجميع يأخدهم الموت ...الغالب والمغلوب ...ولكن الفجر حين سيأتي ،فلن يكون إلا فجر المعذبين والمظلومين ... ومع هذا التفسير المبسط نحسّ بإيحاءات عميقة تتركها الكلمات في وجداننا وربما يكون من الأفضل أن لا نعبر عنها "[4]

[1]- ينظر الكبيسي ،طرّاد ،مقالة في الاساطير في شعر عبد الوهاب البياتي ،ص:40

[2]- البياتي ،ديوان ،ج2،ص:214.

[3]- صبحي ،محي الدين ،الرؤيا في شعر البياتي ،ص:256.

[4]-داوود ،احمد يوسف ،لغة الشعر ،ص:310.

تبدو مساحة الأمل في رؤيا البياتي في المقطع الشعري واسعة ،نلاحظ فيها أن الشاعر حوّل الواقع إلى ما يشبه الأسطورة،فهو يحدثنا عنه بلغة أسطورية واضحة.

كما نلاحظ إن البياتي يغوص إلى أعماق التراث الإنساني باحثا عن الرموز الأسطورية وغيرها التي تساعده في ابراز امكانية انتصار الحياة على الموت وتحقيق العدالة بين البشر ،ففي قصيدة "النبوءة"يظهر التراث الإنساني حاضرا ،فقد جمع فيها البياتي بين الأسطورة اليونانية ،والمثل العربي :

تأكل الحرّة ثدييها إذا جاعت وفي ارض الملوك الفقراء

زهرة الدفلى على جدول الماء

تتعرى في حياء

و انا اكتب فوق الطين ما قال المغني للمساء

واعري الكلمات

وتعاويذ البغايا الكاهنات

وارى نهر دم يَصبِغ مرآة وجوه الكلمات

ورحيل العربات

في سهوب الشرق والنار وصمت الكائنات

آه من عري سماء الكلمات

تحتها ارفد قشاً ،مومياء

صامتا انتظر البعث الوف السنوات

حاملا موتي معي ،جوّاب آفاق ،بلا زاد وماء

كلما غيّر مجراه الفرات [1].

[1]-البياتي ،ديوان،ج2،ص:42.

يتناص المقطع الشعري مع المثل العربي المشهور"تجوع الحرّة ولا تأكل بثديبها" بأسطورة "دفنة"

6/-دفنة :

الحورية الرائعة الجمال التي هام بها "ابولون "،ولاحقها حتى كاد أن ينالها ،فاستحالت بمعونة الإلهة شجرة غار.[1]

ويرمز الماء في الفكر الأسطوري الى التطهير الذي يحفظ الإنسان عفّته[2]ف"دفنة" التي استحالت إلى زهرة على ضفاف المياه حافضت على عفتها ،وعفة من أراد اغتصابها واعتقد أن هذه الرمزية كانت حاضرة في فكر الشاعر حين انشأ هذا النص ،فيوحي فضاء القصيدة بالجوع والاغتصاب ،وعجز الإنسان "الشاعر"عن تجاوز هذا الفضاء المرعب ،ومع ذلك فهو ينتظر الوف السنوات ،ويجمع أشلائه التي بعثرها رجال الدين في العصور كلها .

ويمكننا أن نستنتج في الأخير إن الأسطورة أخذت موقعا راسخا ومميزا في بناء القصيدة عند البياتي ،فكان الشاعر كثيرة الالتصاق بها ،وكان تركيزه منصبا على السمات المشتركة بينهما والواقع المعيش مما أدى إلى تماهي كل منهما بالآخر في معظم قصائده ،وغالبا ما كان يضفي على الواقع سمات أسطورية فيبدو شبيها بالعالم الأسطوري علما أن الأسطورة ليست إلا جزءاً منه .

فالبياتي يولي الأسطورة أهمية كبيرة في الشعر في قوله :"إن الرمز والأسطورة والقناع أهم اقانيم القصيدة الحديثة ،وبدونهم تجوع وتعرى ،وتتحول إلى مشروع أو هيكل لجثّة ميتة"[3].

ويبلور الشاعـــــــر هذا الموقـف من الأسطورة ويزيـد عليـه بعـد أكثر من عقدين من الزمن يقول : "إن استخدام الأسطورة ضرورة لبناء معمار القصيدة الحديثة ،وهي محاولة إبداعية لتجنيب القصيدة الوقوع في المباشرة والغنائية التي تكاد تطغى على الكثير من شعرنا العربي الحديث ،وهذا الاستخدام بالنسبة لي هو نتيجة من نتائج تطوري الفكري والثقافي ،فأنا باحث دؤوب عن

[1]-ينظر،عثمان،سهيل ،والاصفر عبد الرزاق ،معجم الأساطير اليونانية والرومانية ،ص:255.
[2]-ينظر،فراي،نوركوب،نظرية الأساطير في النقد الأدبي ،ت:حنا عبود،ص:50.
[3]-اطميش،محسن ،دير الملاك ،دراسة نقدية للظواهر الفنية فس الشعر العراقي المعاصر ،ص:121.

ينابيع الشمس وقد اعتمد شعري منذ بدايته على المغامرة الوجودية واللغوية والأسطورية لذلك ابتعد عن التقريرية والمباشرة والثرثرة "[1].

[1]-القعود،عبد الرحمان محمد،الابهام في شعر الحداثة ،العوامل والمظاهر وآليات التأويل،ص:58.

خـــــــــــــاتـــــــــــــــ
مـــــــــــــــة

تعرف الأمور بخواتمها فمن خلال ما توصلنا إليه من إنجازنا لهذا العمل نستنتج ما يلي:

1. التراث هو خلاصة ما خلفه السلف للخلف في مختلف الميادين .
2. يعتبر البياتي من أبرز الشعراء في توظيف تقنية القناع وقد نجح إلى حد بعيد في التقنع بالعديد من الشخصيات المكثفة بحمولات دلالية ،ومن جهة أخرى استطاع البياتي عبر القناع والرمز أن يفلت من الرقابة السياسية، وأن يعبر تعبيرا غير مباشر عن أفكاره ورُؤاه.
3. اتجه البياتي إلى التوسع في استعمال الرمز،حين اكتشف تقنية القناع وذلك بتوظيفه للشخصيات والأحداث المستمدة من الدين والتاريخ والأدب والأسطورة وهي مصادره الرئيسية ،ليزداد عدد الرموز لديه ،وقد حاول أن يتماهى مع أقنعته وإن غلبت ذاته أحيانا.
4. لغة البياتي لغة تختلف عن الآخرين من حيث كثافتها وإيحاءاتها والقدرة على الترميز والإثارة والقناع والتناص فهي تمتلك شحنة من الإحساسات والعواطف ما يجعلها تقرع الصمت وتبث الحياة بل أكثر من ذلك تنفث في الإنسان ما يعطيه القدرة على استدعاء الأشياء وامتلاكها.
5. لعل البياتي أول شاعر يتحدث فنيا عن مفهوم القناع في الشعر ولعله أيضا أكثر الشعراء قوة في استخدام القناع.
6. استحضر الشاعر من التراث شخصيات مختلفة لكنه لم يقصر عمله على نقل التراث فحسب وإنما ربطه بالواقع الراهن وهموم المجتمع العربي ومعاناته فتحققت في هذه الأعمال الأصالة التراثية والحاجة المعاصرة في آن واحد.
7. استحضر البياتي نماذج وشخصيات كثيرة مختلفة الأجناس والأعراف، إذ إن الشخصيات التراثية تتمتع برصيد حي في الوعي الجمعي.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد حققنا النتائج المرجوة من هذا البحث فإن فيه من توفيق فهو من الله وجده وإن كان فيه من زلل فمنا ومن الشيطان والله الموفق المستعان.

المصادر و المراجع

المصادر :

القرآن الكريم

المراجع :

- أحمد حامد الصراف، عمر الخيام (الحكيم الفلكي النيسابوري، حياته، علمه، رباعياته)، مطبعة الشعب(دار الأخبار) بغداد، الطبعة الثانية، 1949

- اطميش،محسن ،دير الملاك ،دراسة نقدية للظواهر الفنية فس الشعر العراقي المعاصر (د.ط)(د.ت)

- الحلاج،ت:لويس ماسينيون، وبول كراوس، أخبار الحلاج، بول جتنر، باريس، الطبعة الثاثة،1957

- داوود ،احمد يوسف ،لغة الشعر ،(د.ط)(د.ت)

- زهير السعداوي، علي فائق البرجاوي مع ناظم حكمت في سجنه(مذكرات لبناني زامل الشاعر في سجن بورصَة)، دار ابن خلدون كورنيش المزرعة- بناية ربيفييرا سنتر بيروت، ط1،مارس 1980

- سعد الدين كليب، جمالية الرمز الفني في الشعر الحديث، مجلة الوحدة العدد83/82، 1991م

- صبحي ،محيي الدين ،الرؤيا في شعر البياتي،(د.ط)(د،ت)

- طه عبد الباقي سرور، الحسين بن منصور الحلّاج شهيد التصوف الإسلامي(344ه/309م) مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، 2014.

- عبد الله ناصع علوان،صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبين ،دار السلام .

- عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الشعرية الكاملة،ج1،(د.ط).(د.ت)
- عبد الوهاب البياتي ،الأعمال الكاملة ،ج2

- عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، دار العودة، بيروت، لبنان، د- ط، 1971م

- عبد الوهاب البياتي ،ديوان ،الموت في الحياة، ج2(د.ط)،(د،ت)

- عبد الوهاب البياتي، محي الدين صبحي، البحث عن ينابيع الشعر والرؤيا، (حوار ذاتي عبر الآخر).

- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1981م

- أبي العلاء المعري، ت:أمين عبد العزيز الخانجي، اللزوميّاتْ، منشورات مكتبة الهلال بيروتْ، مكتبة الخانجي القاهرة، ج1

- علي عشري زايد ،استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ،دار الفكر العربي، القاهرة مصر،1997

- عوض ،ريتا ،أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث(د.ط)(د.ت)

- فرايزر ،جيمس،أساطير في أصل النار :ترجمة يوسف ثلب الشام،(د،ط)

-فراي،نوركوب،نظرية الاساطير في النقد الادبي ،ت:حنا عبود ،(د،ط)

- القعود،عبد الرحمان محمد،الابهام في شعر الحداثة ،العوامل والمظاهر وآليات التأويل.

-كامليا عبد الفتاح، القصيدة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية في البنية الفنية والفكرية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2006،1م.

- ابن كثير، قصص الأنبياء، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)

- محمد عبد المنعم الخفاجي ،الأدب في التراث الصوفي،(د.ط)،(د.ت)

- محمد عبد الواحد حجازي، ظاهرة الغوص في الشعر الحديث، دار الوفاء للطباعة والنشر،ط1، 2001م

- محمد كمال حلمي بك، أبو الطيب المتنبي حياته وخلقه وشعره وأسلوبه، أدارة مكتبية ومطبعة الشباب، الإسكندرية،(شارع عبد العزيز خلف)، سنة (1339ه/1921م)

- مصطفي ناصف :دراية الأدب العربي ،الدار القومية لطباعة والنشر ،القاهرة (د ت)

- نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، (الاتباعية- الرومانسية-الواقعية –الرمزية)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1984

المجلات :

- خالد عمر يسير ،مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ،فصيلة محكمة ،العدد 16.شتاء 1392ه،ش/2014م

- الدكتور خالد ،مجلة الدراسات في اللغة والعربية وآدابها ، الأسطورة ووظائفها

- صلاح الدين عبدي ،استدعاء التراث في مرآة أشعار عبد الوهاب البياتي ،مجلة فصلية النقد والأدب المقارن، العدد2 ،العراق ايران كرمنشاه

- الكبيسي ،طرّاد ،مقالة في الأساطير في شعر عبد الوهاب البياتي

- مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها

المواقع الالكترونية:

- الدكتور حسن الخاقاني،موقع كلية الآداب ،جامعة الكوفة ،ملف.

- ويكبيديا الموسوعة الحرة

المعاجم :

- عثمان،سهيل ،والاصفر عبد الرزاق ،معجم الاساطير اليونانية والرومانية.-
- الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ج2.
- ابن منظور،لسان العرب ،ج:3،س2007.

المذكرات:

- الترميز في شعر عبد الوهاب البياتي ،علي كاظم اسد ،حسن عبد عودة حميدي الخاقاني ،جامعة الكوفة .2006/03/15

الــفـــــــــهـــــــــــ

ــــــرس

فهرس الموضوعات

الــبســــملة

الـدعـــــــــاء

شكر وعرفـان

إهـــــداء

الخطة

الـمـقدمة..... أ

مدخل..... 10

عبد الوهاب البياتي حياته و أدبه..... 12

المبحث الأول

الشخصيات الدينية والتاريخية

علاقة الشاعر المعاصر بالموروث.....19

أولا: الموروث الديني.....20

1-شخصيات الأنبياء.....20

أ- شخصية يونس عليه السلام.....20

ب- شخصية سليمان عليه السلام.....21

ت- شخصية المسيح عليه السلام.....22

2- شخصيات مقدسة.....23

أ-مريم عليها السلام.....23

ب- شخصية الإمام علي رضي الله عنه.....24

ت- شخصية الحسين ابن علي رضي الله عنه.....25

3- شخصيات صوفية.....26

أ- جلال الدين الرومي.....26

ب- الحسين بن منصور الحلاج.....27
ت- محي الدين ابن العربي.....28
ثانيا:الموروث التاريخي.....30
1/- صلاح الدين الأيوبي.....31
2/- هارون الرشيد.....34
3/- الإسكندر المقدوني.....34

المبحث الثاني

الشخصيات الأدبية والأسطورية

أولا: الموروث الادبي.....40
1- أبو فراس الحمداني.....40
2- أبو العلاء المعري.....41
3- عمر الخيام.....43
4- شهرزاد.....44
5- المتنبي.....45
6- الحلّاج.....47
7- ناظم حكمت.....49
ثانيا: الموروث الاسطوري.....51
1- أورفيوس.....52
2- السندباد.....53
3- سيزيف.....56
4- جلجامش.....56

5- مملكة الموت.....60
6- دفنة.....62
الخاتمة 65
قائمة المصادر والمراجع 67
الفهرس الموضوعات 72